من نبوءات التوراة عن محمد رسول الله ﷺ

غضن الرب

فى سِفْر إشَعْيَاء النَّبي

أحمد أحمد على السقا

استاذ مقارنة الأديان جامعة الأزهر

الناشر

دار الكتاب العربي

دمشق - القاهرة

المراجعة اللغوية والتدقيق: طه عبد الرؤوف سعد

رقم الايداع بدار الكتب المصرية: ٢٠٠٤/٣٣٨٦

الترقيم الدولي: I.S.B.N. 977-376-044-8

تصميم واخراج الغلاف: وائل سلامة

طباعة الكتاب: مطبعة المدينة: ٣٢١٩٢٨٨

جمع اليكتروني: فور إتش ت:٠١٠/٦٦٧٤٣٣٥

الإشراف العام: أ. سعد بكرى كوسا

تحذير

جميع الحقوق محفوظة لدار الكتاب العربى للنشر
وغير مسموح بإعادة نشر أو إنتاج الكتاب أو أى جزء
منه أو تخزينه على أجهزة استرجاع أو استرداد اليكترونية
أونقله بأى وسيلة أخرى أو تصويره أو تسجيله على أى نحو
بدون أخذ موافقة كتابية مسبقة من الناشر أو المؤلف

الطبع محفوظة

لبعة الأولى

٢٠٠٤

ء الموجودة

تاب لاتعبر

ة عن رأى الدار

دار الكتاب العربي

دمشق - القاهرة

دمشق - الحجاز - شارع مسلم البارودى هاتف: ٢٢٣٥٤٠١ ص.ب ٣٤٨٢٥ فاكس: ٢٢٤٧٢٩٧

مصر - القاهرة - ٥٢ شارع عبد الخالق ثروت - شقة١١ تلفاكس: ٣٩١٦١٢٢

Email: darkitab2003@yahoo.com

من نبوءات التوراة عن محمد رسول الله ﷺ

غصن الرب

فى سِفْر إشَعْيَاء النَّبي

أحمد أحمد على السقا

استاذ مقارنة الأديان جامعة الأزهر

الناشر

دار الكتاب العربي

دمشق - القاهرة

اسم الكتاب: غصن الرب فى سفر اشعياء النبى

اسم المؤلف: أحمد أحمد على السقا

المراجعة اللغوية والتدقيق: طه عبد الرؤوف سعد

رقم الايداع بدار الكتب المصرية: ٢٠٠٤/٣٣٨٦

الترقيم الدولى: I.S.B.N. 977-376-044-8

تصميم واخراج الغلاف: وائل سلامة

طباعة الكتاب: مطبعة المدينة: ٣٢١٩٢٨٨

جمع اليكترونى: فور إتش ت:٠١٠/٦٦٧٤٣٢٥

الإشراف العام: أ. سعد بكرى كوسا

تحذير

جميع الحقوق محفوظة لدار الكتاب العربى للنشر وغير مسموح بإعادة نشر أو إنتاج الكتاب او اى جزء منه أو تخزينه على أجهزة استرجاع أو استرداد اليكترونية أونقله بأى وسيلة أخرى او تصويره أو تسجيله على أى نحو بدون أخذ موافقة كتابية مسبقة من الناشر أو المؤلف

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

٢٠٠٤

الآراء الموجودة بالكتاب لاتعبر بالضرورة عن رأى الدار

دار الكتاب العربي

دمشق - القاهرة

سوريا - دمشق - الحجاز - شارع مسلم البارودى هاتف: ٢٢٣٥٤٠١ ص.ب ٣٤٨٧٥ فاكس: ٢٢٤٧٢٩٧

مصر - القاهرة - ٥٢ شارع عبد الخالق ثروت - شقة ١١ تلفاكس: ٣٩١٦١٢٢

Email: darkitab2003@yahoo.com

التقديم للكتاب

للأستاذ الدكتور

عبد القادر سيد أحمد

عميد كلية الصيدلة ـ جامعة القاهرة الأسبق. ومؤلف كتاب أفلا يتدبرون القرآن

«غصن الرب» لقب من ألقاب «المَسِيَّا» في التوراة[1]. وهو النبي المنتظر من اليهود إلى يومنا هذا. الذي قال عنه لهم موسى ـ عليه السلام ـ: «يُقيم لك الرب إلهك نبيا من وسطك من إخوتك مثلي. له تسمعون» ـ «وأجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به»

ومعنى غُصن الرب: أنه سوف يأتي ليتمم مقاصد الله في خلقه. أي هو منه، خلقه بقدرته. وجعله داعيا إليه وحده، لا إلى إله غيره. وكما أن الغصن من الشجرة يدل على نوعها؛ يكون محمد ﷺ من جماعة المؤمنين بالله. ويُدل بدعوته إليه؛ أنه منه وليس داعيا إلى آلهة غيره.

ونبينا محمد ﷺ دعا إلى الله، وانطبقت أوصاف هذه النبوءة عليه؛ فهو الذي جاء في آخر أيام بني إسرائيل في الملك والنبوة، وليس من بني إسرائيل الذين رفضهم الله «فإنك رفضت شعبك بيت يعقوب» ودينه هو دين السلام. والمسيح يقول: «لا تظنوا أني جئت لألقى سلاما على الأرض. ما جئت لألقي سلاما بل سيفا» [متى١٠: ٣٤]

ومحمد ﷺ حارب أعداءه «والآن يا سكان أورشليم ورجال يهوذا. احكموا بيني وبين كرمي. ماذا يُصنع أيضا لكرمي وأنا لم أصنعه له؟. لماذا إذ انتظرت أن يصنع عنبا؛ صنع عنبا رديئًا. فالآن أعرفكم ماذا أصنع بكرمي؟. انزع سياجه فيصير للرعى. أهدم جدرانه فيصير للدوس، وأجعله خرابا لا يُقضب ولا ينقب؛ فيطلع شوك وحسك، وأوصي الغيم أن لا يمطر عليه مطرا»

(١) تعبير شائع. وفي نظرنا يجب أن يستعمل الكتّاب العهد القديم بدل كلمة التوراة.

والمسيح عيسى - عليه السلام - لم يحارب أعداءه [1]؛ فإنه قال: «أعطوا ما لقيصر لقيصر. وما لله؛ لله» [مرقس ١٢:٧]

وناسب تطبيق هذه النبوءة - في نظر المؤلف - إيراد بعض ما في التوراة وما في الإنجيل عن محمد ﷺ لتتضافر النصوص كلها على تقوية الغرض منها والإقناع بها.

كذلك ذكر المؤلف مما ذكره: شهادة أهل الروم بتبشير المسيح بمحمد ﷺ وشهادة القدماء على أن السيدة مريم رضي الله عنها بقيت في الهيكل مع المنذورات بعد ولادة المسيح، والمواعيد لإبراهيم - عليه السلام - بإرث نسله أراضي الأمم. وأن الإرث يبدأ من ظهور محمد ﷺ وأن بني إسرائيل كانوا يمهدون له الطريق.

وذكر المؤلف قول بولس عن إبراهيم - عليه السلام -: «كما هو مكتوب: «إني قد جعلتك أبا لأمم كثيرة» أمام الله الذي آمن به. الذي يحيي الموتى، ويدعو الأشياء غير الموجودة كأنها موجودة؛ فهو على خلاف الرجاء آمن على الرجاء؛ لكي يصير أبا لأمم كثيرة. كما قيل: «هكذا يكون نسلك» وإذ لم يكن ضعيفا في الإيمان؛ لم يعتبر جسده؛ **وهو قد صار مماتا.** إذ كان ابن نحو مئة سنة. ولا مماتية سارة، ولا بعدم إيمان ارتاب في وعد الله، بل تقوى بالإيمان معطيا مجدا لله. وتيقن أن ما وعد به؛ هو قادر أن يفعله أيضا. لذلك أيضا حُسب له بِرا» [رومية٤: ١٧-٢٢]

إنه آمن بالله الذي يحيي الموتى. وصوّر له ما سوف يكون من بعده لنسله من محمد رسول الله- صلوات الله وسلامه عليه - فرآه. كأنه موجود بالفعل «ويدعو الأشياء غير الموجودة كأنها موجودة»

(١) في تفسير «السنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم» في الأصحاح الرابع من سفر إشعياء:
«في ذلك اليوم يكون غصن الرب؛ بهاء ومجدا. وثمر الأرض ثمرا وزينة؛ للناجين من إسرائيل»
إرمياء ٢٣: ٥ وزكريا ٣: ٨ و ٦: ١٢
«في ذلك اليوم» أي في زمن ملك المسيح، الذي يكون بعد إجراء الله أحكامه على اليهود، وتمام دمارهم «يكون غصن الرب» أي المسيح. ومعنى هذا الاسم: مثل معنى الاسم «ابن الله» وقد دُعي بهذا الاسم في الأنبياء مرارا كثيرة (انظر: إرمياء ٢٣: ٥ و٣٣: ١٥ وزكريا ٣: ٨ و ٦: ٢ وإشعياء ١١: ١ و ٥٣: ٢)... وفحوى هذا العدد: أن المسيح يكون بهاء ومجدا (أي مجيدا جدا) «وفخرا وزينة للناجين من إسرائيل» أي الذين نجوا من الدينونة بإيمانهم بذلك الغصن البهي. وهم كناية عن الكنيسة الضخمة» أ.هـ بنصه.

وكان قد قال لله عز وجل: أنا شخت وكبرت في السن وأصبحت ميتا عن إنجاب نسل. لأن كبير السن ليست له قدرة على تلقيح بويضة الأنثى حتى تحبل وتلد. فكيف وهذه هي تالتي؛ تعدني بأن ترث أولاد من صلبي هذه الأرض؟ «وإذ لم يكن ضعيفا في الإيمان؛ لم يعتبر جسده. وهو قد صار مماتي» ولم يشك في وعد الله.

وقول إشعياء: «ويكون في آخر الأيام أن جبل بيت الرب يكون ثابتا في رأس الجبال، ويرتفع فوق التلال، وتجري إليه كل الأمم» له ارتباط بقوله عن محمد ﷺ: «هو ذا اسم الرب يأتي من بعيد» واسم الرب في - عرفهم - هو النبي محمد ﷺ لأنه سيأتي من بعيد إلى فلسطين من جهة مكة المكرمة. واسم الرب لا يأتي منفردا عن الذات الإلهية. فدلت هذه القرينة العقلية على إتيان نبي باسمه. وأيضا في الكلام عن النبي في التوراة يقول عنه موسى - عليه السلام - إنه سيأتي باسم الرب: «ويكون أن الإنسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلم به باسمي؛ أنا أُطالبه» [تث ١٨:١٩]

ويقول إشعياء: إن «اسم الرب» في حالة مجيئه سيحارب أعداءه «لغربلة الأمم بغربال السوء، وعلى فكوك الشعوب رسن مضل» وهذا الوصف لا يدل على المسيح عيسى بن مريم - عليه السلام -

ويقول إشعياء: وفي زمان هذا النبي الآتي باسم الله «تكون لكم **أغنية. كليْلة تقديس عيد، وفرح قلب. كالسائر بالناي ليأتي إلى جبل الرب** إلى صخر إسرائيل» [إش ٣٠: ٢٧-٢٩]

وقوله هذا تعبير عن سرور الناس وابتهاجهم في زمان هذا النبي كابتهاجهم وسرورهم في الحج إلى الكعبة إلى البيت الحرام.

فإن النبي داود - عليه السلام - أظهر في الزبور مناسك الحج إلى الكعبة، وبيَّن أن الحجاج يجتمعون على جبل عرفات، ثم يفيضون منه إلى الكعبة للطواف بالكعبة. جمهور كثير: كما في يوم عيد «**جمهور مُعيِّد**» تماما كما صور إشعياء فرح الناس في آخر أيام بني إسرائيل، وبدء أيام بني إسماعيل في الملك والنبوة، وبين أن مكان الفرح «جبل بيت الرب» الذي قال الله في شأنه: ﴿**إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ**﴾ [آل عمران: ٩٦]

يقول داود - عليه السلام -:

«كما يشتاق الإيِّل إلى جداول المياه؛ هكذا تشتاق نفسي إليك يا ألله. عطشت نفسي إلى

الله، إلى الإله الحيّ. متى أجيءُ، وأتراءى قدّام الله؟ صارت لي دموعي خبزا. نهارا وليلا. إذ قيل لي كل يوم: أين إلهك؟

هذه أذكرها فأسكبُ نفسي عليّ؛ لأني كنتُ أمرُّ مع الجُمَّاع. أتدرجُ معهم إلى بيت الله. بصوت ترنُّم وحمد. جُمهور مُعيِّد.

لماذا أنتِ منحنية يا نفسي؟ ولماذا تئنّين فيَّ؟ ارتجِي الله. لأني بعد أحمده؛ لأجل خلاص وجهه.

يا إلهي نفسي منحنية فيّ. لذلك أذكرك من أرض الأردن، وجبال حرمون. من جبل مَصعَر. غمرٌ ينادي غمرا عند صوت ميازيبك. كل تياراتك ولججك طمتْ عليّ.

بالنهار يُوصِي الرب رحمته، وبالليل تسبيحه عندي. صلاة لإله حياتي. أقول لله صخرتي: لماذا نسيتني؟ لماذا أذهب حزينا من مضايقة العدو؟ بسحق في عظامي. عيرني مضايقي بقولهم لي كل يوم: أين إلهك؟ لماذا أنتِ منحنية يا نفسي؟ ولماذا تئنين فيَّ؟ ترجّي الله؛ لأني بعدُ أحمده خلاص وجهي وإلهي» [مزمور ٤٢]

التراءي قدام الله: مصطلح خاص عند أهل الكتاب بالظهور عند بيت الله في موسم الحج. وكنّى عن حروب أعداءه ﷺ له، وتأله من مضايقاتهم له بقوله: «صارت لي دموعي؛ خبزا»

ولأن الله لما وعد به؛ شبهه لهم بالموجود بالفعل ليستيقنوا بالوعد؛ أجرى كلاما على فمه، وأوحاه إلى داود عليه السلام فنطق داود بالنيابة عن محمد ﷺ حتى إذا ما ظهر؛ يُوحي الله إليه في القرآن نفس المعاني التي قالها عنه. داود النبي عليه السلام. ومن التطابق يعلم أهل الكتاب: أن محمداً ﷺ هو النبي الموعود به.

ومن كلامه على لسان داود: «لأني كنت أمر مع الجُمَّاع» في عرفات. ثم أفيض من عرفات إلى بيت الرب للطواف حوله «أتدرج معهم إلى بيت الله» وليس في أية بقعة في العالم بقعة فيها بيت مشهور لله. يُحج إليه. إلا أرض مكة. وبينما هم ينحدرون جماعات جماعات إلى الكعبة يرفعون أصواتهم بالتلبية وهم فرحون «بصوت ترنم وحمد» قائلين: إن الحمد لك والنعمة لك. لبيك. جماعات جماعات كأنهم في يوم عيد.

وذكر أن الله أذهب عنه الحزن بنصرته على أعدائه «ارتجي الله؛ لأني بعد أحمده»

وذكر أسماء الجبال التي هي عند البيت الحرام. ومن الجبال جبل «مصعر» وفي أرض مكة إلى يومنا هذا جبل يُعرف بجبل «مصعر» والخرائط القديمة والحديثة محددة موقعه.

وما هي مناسبة الغمر وصوت الميازيب في هذا النص؟

إن الأرض غير ذي زرع بقوله «عطشت نفسي إلى الله» وإنها أرض حج بقوله «وأتراءى قدام الله» وذكر الأيائل من حيوانات البرية وتكلم عن اشتياقها إلى جداول المياه. ليقول: إن مكان هذا الحج أرض يابسة. وأن «بئر زمزم» عنده. وأنهى الكلام بحمد الله ونصره على أعدائه.

إن هذا متطابق مع ما في سفر إشعياء عن موضوع «جبل الرب» في «آخر الأيام» ويجب على المؤلف أن يُطيل النَّفَس في المطابقة، ويكتب لنا كل ما في سفر الزبور عن الحج، والنبي ﷺ يكتب لنا كتابين «مزامير المَسيَّا» و«مزامير الحج» ﴿وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ (١٩٦) أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ آيَةً أَن يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾؟ [الشعراء:١٩٦-١٩٧]. ومن نبوءات التوراة عن محمد ﷺ نبوءة تعرف بـ «ملء الزمان» وهي موجودة في كلام بولس: «وإنما أقول: مادام الوارث قاصرا؛ لا يفرق شيئا عن العبد، مع كونه صاحب الجميع بل هو تحت أوصياء ووكلاء إلى الوقت المؤجل من أبيه. هكذا نحن أيضا لما كنا قاصرين، كنا مستعبدين تحت أركان العالم. ولكن لما جاء ملء الزمان..» [غلاطية٤:١-]

من هو النبي الملقب بلقب «ملء الزمان»؟ هل هو المسيح أم هو محمد ـ عليهما السلام ـ؟

إن النصارى يفسرون «ملء الزمان» بأنه هو النبي الأمي الذي أخبر عنه موسى في سفر التثنية. والذي هو «شيلون» في وصية يعقوب لبنيه كما في التكوين ٤٩: ١٠ ويقولون: إن نبوءة دانيال ٩: ٢٤ بلقب «البر الأبدي» هي نفسها «ملء الزمان» وقول مرقس: «قد كمل الزمان واقترب ملكوت الله» [١:١٥] هو قول عن «ملء الزمان» وقول بولس في الأصحاح الأول من رسالته إلى أهل أفسس؛ هو فيه «إذا عرفنا بسر مشيئته حسب مسرته التي قصدها في نفسه؛ لتدبير ملء الأزمنة» [أف ١:١٠] فلأي سبب لم يضع المؤلف هذين اللقبين، والألقاب كلها في كتاب واحد؟

باستثناء هذه الملاحظة. وما قبلها في «مزامير المَسيَّا» و«مزامير الحج» فالكتاب يؤدي

غرضه. وهو إثبات نبوة محمد ﷺ بشهادة أهل الكتاب. وقد نبه المؤلفُ المسلمين إلى أمر هام. وهو أن أعداء المسلمين في العالم هم اليهود. والأوائل من العلماء كانوا يؤلفون الكتب القيمة في محاسن الدين الإسلامي ومزاياه، ويذكّرونهم بما جاء في كتبهم عن محمد ﷺ كما قال الله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ آيَةً أَن يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ ؟ [الشعراء:١٩٧] ويحدثنا التاريخ أن كثيرين منهم دخلوا في دين الإسلام، وانقطعت عداوتهم للمسلمين بدخولهم فيه. والذين بقوا على اليهودية؛ غفل علماؤنا في عصرنا هذا عن مخاطبتهم بما في كتبهم. فلذلك آذوا المسلمين إيذاء شديداً بسبب جهلهم وحسدهم. فإنهم تسببوا في مجيء الأميركان إلى العراق. وهم يعتقدون أن المسلمين لا يستحقون النعم التي أنعم الله بها عليهم ﴿ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ [الجمعة:٤] فليكثر علماؤنا من الكتب التي تعرفهم بالإسلام من كتبهم ﴿ قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ [الأعراف:١٦٤] وجزى الله المؤلف خيرا، ونفع به. آمين.

أ.د / عبد القادر سيد أحمد

بسم الله الرحمن الرحيم

التعريف بالكتاب

وعد الله تعالى إبراهيم ـ عليه السلام ـ بمباركة الأمم في نسله. وقسم البركة بين بني إسحق وبين بني إسماعيل. وابتدأت بركة بني إسحق من موسى ـ عليه السلام ـ إذْ نزلت عليه التوراة عقيدة وشريعة. ذلك قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَن بُورِكَ مَن فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [النمل:٨]

وقوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَا مُوسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [القصص:٣٠]

وتنتهي بركة بني إسحق بظهور محمد رسول الله ﷺ من بني إسماعيل ـ عليه السلام ـ فيكون اليوم الأخير لبني إسرائيل ـ حاملي بركة إسحق ـ في الملك والشريعة؛ هو نفسه اليوم الأول لبني إسماعيل في الملك والشريعة.

فإذا جاء اليوم الأخير لبني إسرائيل تأتي الأمم إلى جبل بيت الله الحرام في مكة المكرمة للحج. ولمعرفة الشريعة الجديدة من محمد رسول الله والذين معه.

ذكر النبي إشَعياء ذلك. وقال: إن الله رفض بني إسرائيل من السير أمامه بسبب عبادتهم للأوثان، وبسبب ظلمهم للأمم. وقال: إن الله سيهلك اليهود الذين سيكفرون بالنبي الآتي من بني إسماعيل «ويسمو الرب وحده في ذلك اليوم»

وقال النبي إشعياء: إن الهلاك سيكون ١ - لليهود ٢ - وللأمم «فإنه هو ذا السيد رب الجنود، ينزع من أورشليم ومن يهوذا السند والركن» ـ «قد انتصب الرب للمخاصمة. وهو قائم لدينونة الشعوب»

وقال إشعياء: إن الإهلاك لليهود وللأمم سيكون في الأيام الأولى لظهور النبي الأمي الآتي «في ذلك اليوم يكون غُصن الرب بهاء ومجدا وثمر الأرض فخرا وزينة للناجين من إسرائيل» بإيمانهم.

وقال: إن النبي الآتي حبيب الله «لأنشدن عن حبيبي» وفي التراجم القديمة التي نقل

منها علماؤنا السابقون علينا: «أشكر ابني وحبيبي أحمد»

وقال: إنه إذا ظهر «يرفع راية للأمم من بعيد، ويصفر لهم من أقصى الأرض» لأن شريعته عالمية.

وقال إشعياء: إن الذين كفروا من اليهود سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم؛ لا يؤمنون «اذهب وقل لهذا الشعب: اسمعوا سمعا ولا تفهموا، وأبصروا إبصارا ولا تعرفوا. غلِّظ قلب هذا الشعب، وثقِّل أذنيه، واطمس عينيه، لئلا يبصر بعينيه، ويسمع بأذنيه، ويفهم بقلبه ويرجع؛ فيُشفى»

وسأل إشعياء متى؟

«فقال: إلى أن تصير المدن خربة بلا ساكن»

وبعنادهم أخربوا بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الأَبْصَارِ﴾

سنذكر في هذا الكتاب: أن «غُصن الرب» هو محمد ﷺ وسندلل من التوراة والإنجيل على صحة نبوته.

والله ولي التوفيق

د / أحمد أحمد علي السقا

ميت طريف ـ دقهلية

نَصُّ نُبُوءَةِ غُصْنِ الرَّب

في الأصحاح الثاني وما بعده من سِفْر إِشَعياء:

«ويكون في آخر الأيام أن جبل بيت الرب يكون ثابتا في رأس الجبال ويرتفع فوق التلال وتجري إليه كل الأمم. وتسير شعوب كثيرة ويقولون هلم نصعد إلى جبل الرب إلى بيت إله يعقوب فيعلمنا من طرقه ونسلك في سبله لأنه من صهيون تخرج الشريعة ومن أورشليم كلمة الرب. فيقضي بين الأمم وينصف لشعوب كثيرين فيطبعون سيوفهم سككا ورماحهم مناجل. لا ترفع أمة على أمة سيفا ولا يتعلمون الحرب في مابعد. يا بيت يعقوب هلم فنسلك في نور الرب. فإنك رفضت شعبك بيت يعقوب لأنهم امتلأوا من المشرق وهم عائقفن كالفلسطينيين ويصافحون أولاد الأجانب. وامتلأت أرضهم فضة وذهبا ولا نهاية لكنوزهم وامتلأت أرضهم خيلا ولانهاية لمركباتهم. وامتلأت أرضهم أوثانا. يسجدون لعمل أيديهم لما صنعته أصابعهم. وينخفض الإنسان وينطرح الرجل فلا تغفر لهم.

ادخل إلى الصخرة واختبئ في التراب من أمام هيبة الرب ومن بهاء عظمته. توضع عينا تشامخ الإنسان وتخفض رفعة الناس ويسمو الرب وحده في ذلك اليوم. فإن لرب الجنود يوما على كل متعظم وعال وعلى كل مرتفع فيوضع. وعلى كل أرز لبنان العالي المرتفع وعلى كل بلوط باشان. وعلى كل الجبال العالية وعلى كل التلال المرتفعة. وعلى كل برج عال وعلى كل سور منيع. وعلى كل سفن ترشيش وعلى كل الأعلام البهجة. فيخفض تشامخ الإنسان وتوضع رفعة الناس ويسمو الرب وحده في ذلك اليوم. وتزول الأوثان بتمامها. ويدخلون في مغاير الصخور وفي حفائر التراب من أمام هيبة الرب ومن بهاء عظمته عند قيامه ليرعب الأرض. في ذلك اليوم يطرح الإنسان أوثانه الفضية وأوثانه الذهبية التي عملوها له للسجود للجرذان والخفافيش. ليدخل في نقر الصخور وفي شقوق المعاقل من أمام هيبة الرب ومن بهاء عظمته عند قيامه ليرعب الأرض. كُفوا عن الإنسان الذي في أنفه نسمة لأنه ماذا يحسب؟

* * *

فإنه هوذا السيد رب الجنود ينزع من أورشليم ومن يهوذا السند والركن. كل سند خبز

وكل سند ماء. الجبار ورجل الحرب القاضي والنبي والعراف والشيخ. رئيس الخمسين والمعتبر والمشير والماهر بين الصناع والحاذق بالرقية. وأجعل صبيانا رؤساء لهم وأطفالا تتسلط عليهم. وبظلم الشعب بعضهم بعضا والرجل صاحبه. يتمرد الصبي على الشيخ والدنئ على الشريف. إذا أمسك إنسان بأخيه في بيت أبيه قائلا لك ثوب فتكون لنا رئيسا وهذا الخراب تحت يدك. يرفع صوته في ذلك اليوم قائلا لا أكون عاصبا وفي بيتي لا خبز ولا ثوب. لا تجعلوني رئيس الشعب. لأن أورشليم عثرت ويهوذا سقطت لأن لسانهما وأفعالهما ضد الرب لإغاظة عيني مجده. نظر وجوههم يشهد عليهم وهم يخبرون بخطيتهم كسدوم. لا يخفونها. ويل لنفوسهم لأنهم يصنعون لأنفسهم شرا. قولوا للصديق خير. لأنهم يأكلون ثمر أفعالهم. ويل للشرير شر. لأن مجازاة يديه تعمل به. شعبي ظالموه أولاد. ونساء يتسلطن عليه. يا شعبي مرشدوك مضلون ويبلغون طريق مسالكك.

قد انتصب الرب للمخاصمة وهو قائم لدينونة الشعوب. الرب يدخل في المحاكمة مع شيوخ شعبه ورؤسائهم. وأنتم قد أكلتم الكرم. سلب البائس في بيوتكم. ما لكم تسحقون شعبي وتطحنون وجوه البائسين؟ يقول السيد رب الجنود.

وقال الرب: من أجل أن بنات صهيون يتشامخن ويمشين ممدودات الاعناق وغامزات بعيونهن وخاطرات في مشيهن ويخشخشن بأرجلهن. يصلع السيد هامة بنات صهيون ويعري الرب عورتهن. ينزع السيد في ذلك اليوم زينة الخلاخيل والضفائر والأهلة. والحلق والأساور والبراقع. والعصائب والسلاسل والمناطق وحناجر الشمامات والاحراز. والخواتم وخزائم الأنف. والثياب المزخرفة والعطف. والأردية والأكياس والمرائي والقمصان والعمائم والأرز. فيكون عوض الطيب عفونة وعوض المنطقة حبل وعوض الجدائل قرعة. وعوض الديباج زنار مسح وعوض الجمال كي. رجالك يسقطون بالسيف وأبطالك في الحرب. فتئن وتنوح أبوابها وهي فارغة تجلس على الأرض

تمسك سبع نساء برجل واحد في ذلك اليوم قائلات: نأكل خبزنا ونلبس ثيابنا. ليدع فقط اسمك علينا. انزع عارنا.

في ذلك اليوم يكون غصن الرب بهاء ومجدا وثمر الأرض فخرا وزينة للناجين من إسرائيل. ويكون أن الذي يبقى في صهيون والذي يترك في أورشليم يسمى قدوسا. كل من كتب للحياة في أورشليم. إذا غسل السيد قذر بنات صهيون ونقى دم أورشليم من وسطها

بروح القضاء وبروح الإحراق. يخلق الرب على كل مكان من جبل صهيون وعلى محفلها سحابة نهارا ودخانا ولمعان نار ملتهبة ليلا. لأن على كل مجد غطاء. وتكون مظلة للفئ نهارا من الحر وملجأ ولمخبأ من السيل ومن المطر

لأنشدن عن حبيبي نشيد محبي لكرمه. كان لحبيبي كرم على أكمة خصبة. فنقبه ونقى حجارته وغرسه كرم سورق وبنى برجا في وسطه ونقر أيضا معصرة فانتظر أن يصنع عنبا فصنع عنبا رديئا.

والآن يا سكان أورشليم ورجال يهوذا احكموا بيني وبين كرمي. ماذا يصنع أيضا لكرمي وأنا لم أصنعه له. لماذا إذ انتظرت أن يصنع عنبا صنع عنبا رديئا. فالآن اعرفكم ماذا أصنع بكرمي. انزع سياجه فيصير للراعي. اهدم جدرانه فيصير للدوس. وأجعله خرابا لا يقضب ولا ينقب فيطلع شوك وحسك وأوصي الغيم أن لا يمطر عليه مطرا.

إن كرم رب الجنود هو بيت إسرائيل وغرس لذّته رجال يهوذا. فانتظر حقا فإذا سفك دم وعدلا فإذا صراخ.

ويل للذين يصلون بيتا ببيت ويقرنون حقلا بحقل حتى لم يبق موضع. فصرتم تسكنون وحدكم في وسط الأرض. في أذني قال رب الجنود ألا أن بيوتا كثيرة تصير خرابا بيوتا كبيرة وحسنة بلا ساكن. لأن عشرة فدادين كرم تصنع بثًّا واحدا وحومر بذار يصنع إيفة.

ويل للمبكرين صباحا يتبعون المسكر. للمتأخرين في العتمة تلهبهم الخمر. وصار العود والرباب والدف والناي والخمر ولائمهم وإلى فعل الرب لا ينظرون وعمل يديه لا يرون. لذلك سبي شعبي لعدم المعرفة وتصير شرفاؤه رجال جوع وعامته يابسين من العطش. لذلك وسعت الهاوية نفسها وفغرت فاها بلا حد فينزل بهاؤها وجمهورها وضجيجها والمبتهج فيها. ويذل الإنسان ويحط الرجل وعيون المستعلين توضع. ويتعالى رب الجنود بالعدل ويتقدس الإله القدوس بالبر. وترعى الخرفان حيثما تساق وخرب السمان تأكلها الغرباء.

ويل للجاذبين الإثم بحبل البطل والخطية كأنه بربط العجلة. القائلين ليسرع ليعجل عمله لكي نرى وليقرب ويأت مقصد قدوس إسرائيل لنعلم. ويل للقائلين للشر خيرا وللخير شرا الجاعلين الظلام نورا والنور ظلاما الجاعلين المر حلوا والحلو مرا. ويل للحكماء في أعين أنفسهم والفهماء عند ذواتهم. ويل للأبطال على شرب الخمر ولذوي القدرة على مزج

المُسكر. الذين يبررون الشرير من أجل الرشوة وأما حق الصديقين فينزعونه منهم.

لذلك كما يأكل لهيب النار القش ويهبط الحشيش الملتهب يكون أصلهم كالعفونة ويصعد زهرهم كالغبار لأنهم ردوا شريعة رب الجنود واستهانوا بكلام قدوس إسرائيل. من أجل ذلك حمى غضب الرب على شعبه ومد يده عليه وضربه حتى ارتعدت الجبال وصارت جثثهم كالزبل في الازقة. مع كل هذا لم يرتد غضبه بل يده ممدودة بعد. فيرفع راية للأمم من بعيد ويصفر لهم من أقصي الأرض فإذا هم بالعجلة يأتون سريعا. ليس فيهم رازح ولا عاثر. لا ينعسون ولا ينامون ولا تنحل حزم أحقائهم ولا تنقطع سيور أحذيتهم. الذين سهامهم مسنونة وجميع قسيهم ممدودة. حوافر خيلهم تحسب كالصوان وبكراتهم كزوبعة. لهم زمجرة كاللبوة ويزمجرون كالشبل ويهرون ويمسكون الفريسة ويستخلصونها ولا منقذ. يهرون عليهم في ذلك اليوم كهدير البحر. فإن نظر إلى الأرض فهوذا ظلام ضيق والنور قد أظلم بسحبها.

* * *

في سنة وفاة عُزِّيا الملك رأيت السيد جالسا على كرسي عال ومرتفع وأذياله تملأ الهيكل. السرافيم واقفون فوقه لكل واحد ستة أجنحة. باثنين يغطي وجهه وباثنين يغطي رجليه وباثنين يطير. وهذا نادي ذاك وقال قدوس قدوس قدوس رب الجنود مجده ملء كل الأرض. فاهتزت أساسات العتب من صوت الصارخ وامتلأ البيت دخانا

فقلت ويل لي إني هلكت لأني إنسان نجس الشفتين وأنا ساكن بين شعب نجس الشفتين لأن عيني قد رأتا الملك رب الجنود. فطار إليَّ واحد من السرافيم وبيده جمرة قد أخذها بملقط من على المذبح. ومس فمي وقال: إن هذه قد مست شفتيك فانتزع إثمك وكفر عن خطيتك

ثم سمعت صوت السيد قائلا: من أُرسل؟ ومن يذهب من أجلنا؟ فقلت هأنذا أرسلني. فقال :اذهب وقل لهذا الشعب: اسمعوا سمعا ولا تفهموا وأبصروا إبصارا ولا تعرفوا. غلِّظ قلب هذا الشعب وثقل أذنيه واطمس عينيه لئلا يبصر بعينيه ويسمع بأذنيه ويفهم بقلبه ويرجع فيشفى. فقلت: إلى متى أيها السيد؟. فقال إلى أن تصير المدن خربة بلا ساكن والبيوت بلا إنسان وتخرب الأرض وتقفر ويبعد الرب الإنسان ويكثر الخراب في وسط الأرض. وإن بقى فيها عشر بعد فيعود ويصير للخراب ولكن كالبطمة والبلوطة التي وإن قطعت فلها سلق يكون ساقه زرعا مقدسا»

الفصل الأول

في

الحقيقة والمجاز

كلمة «مات» على الحقيقة تدل على الحيوان الذي انقطعت صلته بالأحياء. وإذا قلنا عن إنسان مات ودفن في القبر: إنه لم يمت. فقولنا: «لم يمت» على الذي هو في القبر، مسجى بالكفن. قول كاذب، وصادق. كاذب عند المشاهدين لوضعه في القبر. وصادق عندهم أيضاً. إذا أنت قلت لهم: هو لم يمت، على معنى أن ذكره باق، أو أنجب أولاداً، فالقول كاذب بحسب الظاهر للناس، والقول نفسه صادق، بحسب المعنى الخفي الذي لا يفهمه إلا الكبار. وهو أن ذكره باق، أو لأنه أنجب أولاداً ينوبون عن وجوده.

ومن يفهم هذا؟ يفهمه كبار الناس. فإن الطفل لا يعرف معنى الذكر الحسن الذي ينوب عن الحي في غيابه، ولا يعرف أن من أنجب أولاداً، كأنه لم يمت.

وفي كلمة «مات» مباحث:

المبحث الأول: أن «مات» تستعمل بحسب الظاهر في المدفون في التراب. وهذا الاستعمال. يكون على الحقيقة.

المبحث الثاني: أن «مات» تستعمل في المنقطع عن الحياة إلى النسك. فلو نظرنا إلى رجل انقطع إلى الله، وأعرض عن شهوات الأكل والشرب والنساء وكل مظاهر الدنيا. فإننا نقول عنه: إنه مات عن الدنيا. أي ترك شهواتها. والأمة الناهضة إلى عمارة الحياة، يقال عنها: إنها أمة حية. والأمة اليائسة يقال عنها: إنها أمة ميتة. لا حراك فيها. والأمة الحية. هي حية نهضت أو لم تنهض. لأن أهلها لم يدخلوا القبور بعد. والأمة الميتة التي لا حراك فيها. هي أيضاً حية. إذ في أهلها نسمة حياة. فالتعبير بالحياة، عن الحركة والنشاط. هو تعبير مجازي. والتعبير بالموت عن اليأس. هو تعبير مجازي.

المبحث الثالث: قولنا عن الداخل في القبر: «إنه مات» وقولنا عنه: «إنه لم يمت» لو سمعها طفل صغير. لسمع عبارتين متناقضتين. ومن الممكن أن يكذبهما معاً. وإذا بادر إنسان بتفهيمه المراد من العبارتين، فإنه لن يحكم بالتضاد والتناقض بينهما. إذ إحداهما

على الحقيقة، والأخرى على المجاز.

وردُّ الكذب ودفعه لا يكون:

أ - إلا بقرينة عقلية.

ب - أو بنص محكم.

فوضع الميت في القبر ومشاهدة الناس له في القبر. قرينة عقلية على أنه «لم يمت» تعني أنه لم يمت ذكره. وإذا كنت في مجلس من المجالس. وقال الناس كلهم في المجلس: «في قرية كذا، مات زيد الرجل الصالح» فإن قولهم هذا النص هو حكم على أن الرجل قد مات.

فإن تصادف أن مر عليك من يثني عليه ويمدحه بأنه لم يمت. فإن النص المحكم يكون قرينة على أنه لا يقصد الموت الطبيعي.

ومثله من الشعر قول الشاعر:

ألَمَّ بنا ساقٍ، يجلُّ عن الوصف ... وفي طَرْفه خَمْرٌ وكأس على الكفّ

فأسكر أصحابي بخمرة كفِّه ... وأسكرني - والله - من خَمرةُ الكفّ

فقوله وفي طرفه خمر. يقصد به: أن عيني الساقي جميلة، وتُذْهب بِلُب من يراها. كما تذهب خمر العنب بعقول من يشربها. ثم قال: إن الخمرة على الحقيقة: هي ما في الدَّنّ الذي يحمله الساقي على كفه. والخمر على المجاز: هي كف الساقي الجميل المنظر. والخمر على الحقيقة والكف التي تحملها. كلاهما جميلان جداً. وكلاهما متشابهان في توهان العقل. أما أصحاب الشاعر فقد سكروا بخمر العنب، وأما هو فقد سكر من رؤية كف الساقي الحسن. وهذه المبالغة مثل قول الشاعر:

متى ما تلق من تهوىَ ... دع الدنيا، وأهملها

المُحكم والمتشابه

إذا قلت ﴿ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ فإن اليد تحتمل معنَيْن اثنين. أحدهما على الحقيقة، والآخر على المجاز.

١ - واليد على الحقيقة: هي جسم اليد التي فيها أصابع وأظافر.

٢ - واليد على المجاز: هي كناية عن أن قدرته هي فوق قدرة الناس.

ولاحتمال اليد للمعنيين، يكون النص متشابهاً. ويجب البحث عن محكمه، ليبين لنا

المراد من المعنيين. فما هو المحكم؟

لا يمكن أن يكون المحكم قرينة عقلية. لأن ذات الله وصفاته لا ينضبط الكلام فيها إلا بالنصوص. والمحكم هو ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ لأن له معنى واحداً وهو نفي المثل. ونفي المثل هو نفي الجسم. لماذا؟ لأنك لو قلت: له يد، لكان المعنى: إثبات جسم لليد على أي تخيُّل يخطر بالبال. والتخيل قد يجعل اليد يد حيوان أو طير أو تمثال مصنوع بالأيادي. ونفى المثل يستلزم نفي التخيل على أي مخلوق كان. فتكون اليد كناية عن القدرة. ولا يمكن القول بيد لا مثل لها. لأن ذلك محتمل لنفي المثل عن الجسمية، والله يريد نفي الجسمية نفسها.

الحشوية:

وقد سمَّى إمام الحرمين، الجويني رحمه الله من يقول بيد لله. لا مثل لها. سماهم بالحَشَوِيَة. فقال: «فإنا نرى الحشوىَّ من الحنابلة مُصمماً على عقد، متعلق بالمعتقد، على ما هو به. مع إنكاره النَّظر، ولو نُشر بالمنشار، لم يَكِعْ، ولم يرجع[1]» وقال أيضاً: «وكم للحشوية المشبهة من خبط يناقض حقيقة التوحيد»

وقال التهانوي في كشاف اصطلاحات الفنون: «هُم قوم تمسكوا بالظواهر؛ فذهبوا إلى التجسيم وغيره. وهم من الفِرَق الضالّة»[2]

المحكم والمتشابه

في

القرآن الكريم

وقد بين الله تعالى في القرآن الكريم:

أولاً: أن فيه نصوصاً محكمة، ونصوصاً متشابهة.

ثانياً: أن النص المتشابه محدد بمعنيين اثنين فقط.

(١) البرهان في أصول الفقه - المجلد الأول - وأيضاً: ص ٤١٥ .

(٢) نقلاً عن البرهان - لإمام الحرمين - المجلد الأول. الإمام الجويني

ثالثاً: أن النص المتشابه له نص محكم.

رابعاً: أن المتشابه محدد بسبعة.

خامساً: أن الراسخين في العلم يعلمون المتشابه والمحكم.

والدليل على أن القرآن فيه محكم ومتشابه: قول الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ [آل عمران:٧]

والدليل على أن المتشابه محدد بمعنيين اثنين: قول الله تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ﴾ [الزمر:٢٣]

والدليل على أن المتشابه سبعة [1]: قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ [الحجر:٨٧]

والدليل على أن المتشابه والمحكم يعلمه الراسخون في العلم: قول الله تعالى في وصف القرآن: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ [القيامة:١٩].

الغرض من رد المتشابه إلى المحكم

والغرض من رد المتشابه إلى المحكم: هو نفي موهم التعارض عن القرآن. فقوله تعالى: ﴿لاَّ يَضِلُّ رَبِّي وَلاَ يَنسَى﴾ [طه:٥٢]. ظاهره ينفي النسيان. وقوله تعالى: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبة:٦٧]. ظاهره يثبت النسيان. فالنصان في الظاهر متعارضان. وإثبات التعارض معناه: **أن القرآن ليس من الله. وقد ثبت أن القرآن من الله**، وعليه فإن التعارض، **يكون تعارضاً في الظاهر، لا في الحقيقة ونفس الأمر**. ويجب على العلماء البحث عن إزالته، بتعيين المحكم، وإبرازه للناس. فما هو المحكم الذي يقضي بين النصين؟

إن المحكم هو قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى:١١]. لأنه ينفي الجسيمة عن الله تعالى. والنسيان الحقيقي من صفات الأجسام. وحيث قد نفى الجسمية بالمحكم فإن النسيان الحقيقي يكون غير مراد، فما هو المراد؟ هو المعنى الآخر، الذي هو كناية عن الإهمال. يكلم الناس بلسانهم على قدر عقولهم. ثم نقول: والله

وطريقة التعيين هكذا:

(١) معنى السبعة في التوراة: عددا كاملا من أي موضوع.

أ ـ ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبة:٦٧]

١ ـ النسيان على الحقيقة.

٢ ـ النسيان على المجاز بمعنى الإهمال من رحمته.

ب ـ إبحث عن المحكم. وهو ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى:١١]. الذي ينفي الجسمية.

جـ ـ أنظر إلى المتشابه. وخذ منه المعنى المتفق مع المحكم.

ومن الممكن: أن لا نستعمل المحكم والمتشابه في النسيان. ونقول: إن الله بهما يكلم بني آدم على قدر عقولهم، على طريقة المشاكلة.

الاختلاف الكثير في القرآن

قال تعالى: ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا﴾ [آية: ٨٢ ـ النساء].

ظاهر هذا النص:

١ ـ أن الاختلاف في القرآن يدل على أنه ليس من الله.

٢ ـ وأن في القرآن اختلافاً قليلاً.

هذا هو الظاهر. ومعلوم أن قليل الاختلاف وكثيره في أي كتاب يدل على أن الكتاب ليس من الله.

فكيف تحل هذا الإشكال؟

إنه يحلُّ على طريقة المُحكم والمتشابه. وكيف يحل؟

إن الاختلاف القليل الموجود في القرآن، هو اختلاف الآيات المتشابهة. وعند الرد إلى المحكم تمحى الاختلافات وتزول. وهذا مثل قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ:٢٤] فإن ظاهره يثبت أن النبي ﷺ كان شاكاً في أمره. وعند البحث والتحري يتبين أنه على حق، فيثبت أنه هو الذي على الهدى.

فالنسيان وعدم النسيان من مواضع الاختلافات في القرآن بحسب الظاهر. ولما تعين المحكم وعين المعنى المراد، ضاع الاختلاف. وبهذه الطريقة لا يكون في القرآن أي اختلاف

ظاهري. قليل أو كثير.

الصلة بين المجاز وبين المحكم والمتشابه

والمتشابه وهو المحتمل لمعنيين أحدهما مجاز والآخر حقيقة. صلته وثيقة بالمجاز في اللغة. فإنه هو الكناية. والكناية من مجاز اللغة. فقوله تعالى: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [آية ٦٧ ـ التوبة] وقوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ﴾ [آية ٣٤ ـ الجاثية] هو كناية عن إدخالهم النار، وإهمالهم وإبعادهم عن رحمته. وقد تكون الكناية مجازاً مرسلاً. في مثال واحد. ويصرح بالمجاز المرسل ولا يصرح بالكناية. وقد يصرح بالمجاز. فقوله تعالى: ﴿جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ﴾ [نوح:٧] هو عندنا كناية عن الإعراض والكره. وليس هو حقيقة في أنهم أدخلوا من الأصابع في الآذان. وعلماء البلاغة يقولون: هو مجاز مرسل. وأنهم لم يضعوا كل الأصابع بل بعض الأصابع، لاستحالة وضع الأصابع كلها في الأذن. أي أن من أخذ بظاهر النص حكم بأنه مجاز مرسل، ومن نظر إلى المعنى المراد من النص، حكم بأنه كناية. ومن يجمع بينهما يقول: هو مجاز في بعض الأصابع. ثم يقول: والنص كناية عن الإعراض عن دعوة نوح ـ عليه السلام ـ.

الله يكلم الناس على قدر عقولهم

١ – وقد كلم الله بني آدم بلسانهم على قدر عقولهم، عن ذاته وصفاته، ليقدروا على تصور ذاته وصفاته.

٢ – وبين لهم أنه ليس كمثله شئ.

وهذا في القرآن وفي التوراة.

فإن نصوص نفي المثلية عن الله تعالى في التوراة كثيرة جداً، وفي القرآن نصوص. وفي التوراة وفي القرآن: أن الله يجئ ويكشف عن ساقه، وله يد، وعينان. هذا كله مذكور في الكتابين.

ومن يأخذ بأحد معنيي المتشابه، الذي يدل على تجسيم الله، ولا يعرف المحكم، ولا كيفية الرد إليه، فإنه يحكم بالجسمية، ومثله من يجمع بين إثبات الصفات ونفي المثل.

فيقول: لله يد ولكن ليست كأيدينا. فإنه تلزمه الجسمية ولو لم يصرح بها.

ففي بعض الكتب قرأنا: أن اليهود يجسمون الله تعالى؛ لأنه مكتوب في التوراة: «ثم ذكر الله نوحاً» [تك٩:١] فإن ظاهره يدل على أنه كان قد نسيه.

وأن الله ندم على خلق بني آدم، ففي التوراة: «فحزن الرب أنه عمل الإنسان في الأرض، وتأسف في قلبه» [تك٦:٦] والمؤلف لو كان عارفاً بالنصوص المحكمة التي تنفي الشبه عن الله تعالى. لما حكم بأن التوراة تجسم الله تعالى.

وكذلك لو كان عارفاً بآيات القرآن. ففيها: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة:١٥٢] وفيها: ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا﴾ وفيها: ﴿وَلَكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ﴾ [التوبة:٤٦] وقال هذا المؤلف: إن في التوراة: أن الله صارع يعقوب ـ عليه السلام ـ وهذا يدل على التجسيم. ولم يكلف نفسه قراءة النص في مواضع آخر، أو في ترجمة أخرى. ففي سفر هوشع: أن المصارع ملاك، وفي التوراة السامرية: أن المصارع ملاك. بل في القرآن: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ﴾ ؟ والنص في التوراة: أن معهم ملاك الله. نيابة عنه.

وقول اليهود: إن الله بخيل، وإهانتهم له. هذا شئ. ونصوص التوراة شئ آخر. فإنه لما سقطت دولتهم؛ هانوا على أنفسهم، ويئسوا من رحمة الله، فسبوه ولعنوه ـ عليهم اللعنة ـ وكتبوا في التلمود كثيراً من سفههم وعبثهم. أما التوراة. فإنها مصرحة بنفي المثل عن الله تعالى. ويجب على المسلمين إبراز هذه المعاني بالحق. لقوله تعالى: ﴿مَا يُقَالُ لَكَ إِلاَّ مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ﴾ [فصلت:٤٣]. وما قيل للرسل في التوحيد وفي التنزيه هو في التوراة.

وهذه نصوص تنفي المثل عن الله تعالى من التوراة وأسفار الأنبياء:

١ – «ليس مثل الله» [تثنية ٣٣:٢٦].

٢ – «يا أالله من مثلك؟» [مزمور٧١:١٩].

٣ – «يا رب ليس مثلك، ولا إله غيرك» [أخبار الأيام الأول ١٧:٢٠].

٤ – «اذكروا الأوّليات منذ القديم. لأني أنا الله وليس آخر. الإله وليس مثلي» [إشعياء:٤٦:٩].

النص المحكم والمتشابه عن الله تعالى
في التوراة وفي القرآن

علماء المسلمين كلهم متفقون على أن الله ليس جسماً. حتى الذين يقولون: نسلم بظواهر النصوص عن صفات أعضائه وصفات فعله، مع نفي المثل عنها، يقولون: لا يمكن أن نصرح بالجسمية. لأن الجسمية تدل على قيام الحوادث بذات الله تعالى، وتدل على تغير الجسم من حال إلى حال. والله لا يليق به ذلك. وكل العلماء متفقون على أن الجسمية منفية عن الله تعالى من قوله: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾.

وهذا القول بالمعنى في التوراة. في الأسفار الخمسة، وأسفار الأنبياء. بل في التوراة: أن موسى - عليه السلام - طلب رؤية الله، وامتنعت عليه، وفيها: أن الله لا تأخذه سنة ولا نوم. وفيها: الله نور السموات والأرض. وفيها أن الله يعلم ويرى. فالنصوص المحكمة متفق عليها وواضحة أكثر فأكثر من سفر الزبور لداود - عليه السلام - وهذه نصوص من نصوص كثيرة، مفرقة على ستة وأربعين سفرا.

أولاً: النص المحكم والمتشابه على نفي الجسم عن الله في التوراة:

١ - «وأما وجهي فلا يُرى» [خروج ٣٣:٢٣].

٢ - «فحدث إذ كان هرون يكلم كل جماعة بني إسرائيل أنهم التفتوا نحو البرية، وإذا مجد الرب قد ظهر في السحاب. فكلم الرب موسى» [خر ١٦:١٠-١١].

٣ - «وأما موسى فاقترب إلى الضباب، حيث كان الله» [خر٢٠:٢١].

٤ - «وحل مجد الرب على جبل سيناء، وغطاه السحاب ستة أيام. وفي اليوم السابع دعى موسى من وسط السحاب. وكان منظر مجد الرب كنار آكلة على رأس الجبل، أمام عيون بني إسرائيل. ودخل موسى في وسط السحاب» [خر ٢٤:١٦-١٨].

٥ - «فنزل الرب في السحاب. فوقف عنده هناك ونادى باسم الرب. فاجتاز الرب قدامه. ونادى: الرب الرب. إله رحيم ورءوف، بطئ الغضب وكثير الإحسان والوفاء حافظ الإحسان إلى ألوف. غافر الإثم والمعصية والخطيئة، ولكنه لن يبرئ إبراء» [خر ٣٤:٥-٧].

٦ - «بالرب إلهكم، السائر أمامكم في الطريق ليلتمس لكم مكاناً لنزولكم، وفي نار

ليلاً ليريكم الطريق التي تسيرون فيها، وفي سحاب نهاراً» [تثنية ١:٣٢-٣٣].

٧ - «فانتقل ملاك الله، السائر أمام عسكر إسرائيل وسار وراءهم، وانتقل عمود السحاب من أمامهم ووقف وراءهم» [خروج ١٤:١٩].

٨ - «ليس مثل الله» [تث ٣٣:٢٦].

٩ - «فبمن تشبهون الله؟ وأي شبه تعادلون به؟» [إش ٤٠:١٨].

ثانياً: النص المحكم والمتشابه على نفي الجسم عن الله في القرآن:

١ - ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾؟ [مريم:٦٥] أي مثلاً.

٢ - ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ [الشورى:١١].

٣ - ﴿ لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ ﴾ [الأنعام:١٠٣].

٤ - ﴿ لَن تَرَانِي ﴾ [الأعراف:١٤٣].

٥ - ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ أي جاء أمره [1] ؛ لاستحالة الجسمية عنه بنفي المثل.

المقارنة:

أ - نفي المثل عن الله. متفق عليه بين القرآن والتوراة.

ب - المرئي مجد الرب، لا ذات الرب.

ج - الرب السائر مُفسَّر بملاك الرب، لا بذات الرب.

ثالثاً: النص المحكم والمتشابه على نفي المكان عن الله في التوراة:

١ - «في كل الأماكن التي أصنع فيها لاسمي ذكرا؛ آتي إليك وأُباركك» [خر٢٠:٢٤].

٢ - «وأمَّا نوح، فوجد نعمة في عيني الرب» [تك٦:٨].

٣ - «حتى فني كل الجيل الذي فعل الشر في عيني الرب» [عدد ٣٢:١٣].

٤ - «إذا اختبأ إنسان في أماكن مستترة. أفما أراه أنا؟ يقول الرب»

(١) هذا على كلام المفسرين. والصحيح أن ربك يعني به «سيدك» أي جاء سيدك يا يهودي. وهو محمد ﷺ لنزع الملك منك من فلسطين ومعه أتباعه الملقبون في التوراة والإنجيل بالملائكة.

رابعاً: النص المحكم والمتشابه على نفي المكان عن الله في القرآن:

١ - ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الأَرْضِ﴾ [الأنعام:٣] .

٢ - ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه:٤٦] .

٣ - ﴿أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ ؟﴾ [الملك:١٦] .

٤ - ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ [البقرة:١١٥] .

تصحيح خطأ:

وعلى هذا الذي قدمناه؛ يتوجب قراءة النص التالي بحذر. وهو من كتاب «بدائع الفوائد» لابن قيِّم الجوزية.

النص:

«قال القاضي: صنَّف المروزي كتاباً في فضيلة النبي ﷺ وذكر فيه إقعاده على العرش» قال القاضي: «وهو قول أبي داود، وأحمد بن أصرم، ويحيى بن أبي طالب، وأبي بكر بن حماد، وأبي جعفر الدمشقي، وعياش الدوري، وإسحق بن راهويه، وعبد الوهاب الورَّاق، وإبراهيم الأصبهاني، وإبراهيم الحربي، وهرون ابن معروف، ومحمد بن بشر بن شريك، وأبي قلابة، وعلي بن سهْل، وأبي عبد الله بن عبد النور، وأبي عبيد، والحسن ابن فضل. وهرون بن العباس الهاشمي، وإسماعيل بن إبراهيم الهاشمي، ومحمد بن عمران الفارسي الزاهد، ومحمد بن يونس البصري. وعبد الله بن الإمام أحمد، والمروزي، وبشر الحافي».

قلت: وهو قول ابن جرير الطبري. وإمام هؤلاء كلهم مُجاهد. إمام التفسير وهو قول أبي الحسن الدارقطني» أ.هـ

كيفية رد المتشابه إلى المحكم

١ - قوله تعالى: ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الأَرْضِ﴾ قول محكم. يدل على أنه بعلمه في كل مكان. وقلنا بعلمه، ولم نقل بذاته؛ لأن الجسمية ممتنعة عن الله. وقوله: ﴿مَنْ فِي السَّمَاءِ﴾ نص متشابه. يحتمل:

١ - أنه بذاته في السماء.

٢ - أنه هو الإله وليس غيره. وعبَّر بالسماء؛ لأنها جهة العلو. والمتفق مع المحكم: هو المعنى الثاني.

٣ - قول الله في التوراة - إن كان هو القائل -: «أما أملأ أنا السموات والأرض؟» قول محكم. يدل على أن الله بعلمه في كل مكان.

وقوله: «آتي إليك» قول متشابه. يحتمل:

١ - أنه يحل بذاته في مكان ويترك أمكنة.

٢ - تأتي رحمته وبركته.

والمتفق مع المحكم هو المعنى الثاني.

٣ - قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ نص محكم ينفي الجسمية. وقوله: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ قول متشابه. يحتمل:

١ - جاء على رجليه.

٢ - وجاءت رحمته [1] .

والمتفق مع المحكم هو المعنى الثاني.

٤ - في التوراة: «لا مثل الله» وهو نص محكم ينفي الجسمية. وفيها: «فنزل الرب في السحاب» وهو نص متشابه. يحتمل:

١ - نزول الرب بذاته؛ فيكون جسماً.

٢ - نزول رحمته.

والمتفق مع المحكم هو المعنى الثاني.

(١) هذا على تفسير القدماء. والصحيح: سيدك.

تنزيه الله عن الجسمية وعن مشابهته للحوادث في التوراة والقرآن

ومن يعقد مقارنة بين آيات القرآن، الدالة على نفي الجسم عن الله ـ تعالى ـ وعدم مشابهته للحوادث، وبين التوراة في نفس المعاني؛ يجد المشابهة حاصلة وواضحة. وهذا واضح مما تقدم، ومما يأتي:

١ - في القرآن: أن الله لا تأخذه سنة ولا نوم. ذلك قوله: ﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ﴾ [البقرة:٢٥٥].

وفي التوراة: يقول داود ـ عليه السلام ـ :«معونتي من عند الرب. صانع السموات والأرض. لا يدع رجلك تزلُّ. لا ينعس حافظك. إنه لا ينعس ولا ينام حافظ إسرائيل. الرب حافظك» [مزمور ١٢١:٢-٤].

والنصارى يقولون: إن عيسى ـ عليه السلام ـ إله. أو هو الإله. رب العالمين. ويقولون: إنه كان نائماً على وسادة في المركب. والتوراة تقول: إن الله رب العالمين لا ينام. والقرآن يقول: ﴿لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ﴾ فيلزم عليهم: إما تكذيب التوراة، وإما أن عيسى ـ عليه السلام ـ ليس هو الله رب العالمين.

يقول مرقس: «وقال لهم في ذلك اليوم لما كان المساء: لنجتز إلى العبر. فصرفوا الجمع، وأخذوه، كما كان في السفينة. وكانت معه أيضاً سفن أخرى صغيرة. فحدث نوء ريح عظيم. فكانت الأمواج تضرب إلى السفينة، حتى صارت تمتلئ. وكان هو في المؤخر على وسادة نائماً. فأيقظوه وقالوا له: «يا معلم. أما يهمك أننا نهلك»؟ [مرقس٤:٣٥-].

٢ - في القرآن الكريم: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ وهو نص متشابه. يحتمل:

١ - جسم ينير.

٢ - كناية عن أن كلامه يهدي أهل السموات والأرض، كما يهدي نور القمر طريق من يسير في الليل. وقد جرت عادة الناس أن يقولوا في الترحيب بالضيف: أنت نوَّرت المكان. كناية عن سرورهم به.

والمتفق مع المحكم وهو: ﴿لَيسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾: المعنى الكنائي.

وفي التوراة:

أ - «ارفع علينا نور وجهك يا رب» [مزمور:٤:٦].

ب - «لأنه ليس بسيفهم امتلكوا الأرض، ولا ذراعهم خلصتهم؛ لكن يمينك وذراعك، ونور وجهك؛ لأنك رضيت عنهم»

ج - «يا رب بنور وجهك يسلكون» [مزمور٨٩:١٥].

د - «لأن عندك ينبوع الحياة. بنورك نرى نوراً» [مزمور٣٦:٩].

و - «نور وجهك» نص متشابه. يحتمل:

١ - وجه مجسم منير.

٢ - كناية عن الاهتداء بأمره.

ومحكمه هو: «ليس مثل الله» والمتفق مع المحكم هو المعنى الكنائي.

الفصل الثاني
في
ختم الرؤيا والنبوة

أ - «موسى بن عمران خاتم النبيين»

جملة. لو قالها اليهودي. فإنه يكون صادقاً ويكون كاذباً. يكون صادقاً إذا قال: هو خاتم النبيين في بني إسحق. ويكون كاذباً إذا قال: هو خاتم النبيين إلى يوم القيامة.

ب - «اليهود أفضل أهل العالم»

جملة. لو قالها اليهودي فإنه يكون صادقاً إذا عني بها أهل زمانه من قبل مجئ محمد - عليه السلام - ويكون كاذباً إذا عني بها نفسه على الإطلاق.

ومن يشهد أن موسى - عليه السلام - ليس خاتم النبيين؟

يشهد عليه شاهدان:

أولهما: موسى نفسه.

وثانيهما: أنبياء بني إسرائيل. ومنهم داود ودانيال وعيسى ابن مريم.

أولاً: شهادة موسى على أنه ليس خاتم النبيين:

اعترف موسى - عليه السلام - بأن الله تعالى سيرسل من بعده نبياً، نوراً وهدى للناس. فلو كان هو خاتم النبيين، لما اعترف بنبي يأتي من بعده؛ ليسمع له بنو إسرائيل ويطيعون.

وإذا قال اليهود: إن النبي الآتي سيأتي من اليهود. فإن ظاهر قولهم يدل على أن ختم الرؤيا والنبوة ليس بموسى - عليه السلام - وتصريحه بنبي من بعده على مثاله، يكلمهم بكلام الله، يدل على أن النبي الآتي سيكون صاحب شريعة، كما كان هو.

ففي الأصحاح الثامن عشر من سفر التثنية:

«يُقيم لك الرب إلهك نبياً. من وسطك. من إخوتك. مثلي. له تسمعون... إلخ».

ثانياً: شهادة دانيال على أن موسى ليس خاتم النبيين:

في الأصحاح التاسع من سفر دانيال يقول له جبريل - عليه السلام -: «سبعون أسبوعا

قُضيت على شعبك، وعلى مدينتك المقدسة، لتكميل المعصية، وتتميم الخطايا، ولكفارة الإثم، وليُؤتى بالبر الأبدي، ولختم الرؤيا والنبوة ولمسح قدوس القدوسين».

فختم الرؤيا والنبوة سيكون بعد سبعين أسبوعاً، من حياة دانيال - على ظاهر النص - ودانيال كان بعد موسى بألف عام تقريباً. وهذا يدل على أن موسى ليس خاتم النبيين. والأسبوع في لغتهم: سبع سنين. لا سبعة أيام.

س - ولماذا خلق الله تعالى عيسى بلا أب؟

جـ - لقد قلنا ما نصه في التعليق على الجواب الصحيح: «اعلم: أن الله - تعالى - خلق عيسى - عليه السلام - من أم دون أب. لحكمة يعلمها هو. وهي في نظرنا - والله تعالى أعلم -: أن موسى - عليه السلام - في التوراة قد أخبر عن نبي سيأتي من بعده؛ ليقيم الدين، وله يسمع اليهود ويطيعون. وهذا النبي يكون من بني إسماعيل. من العرب؛ لأن الله بارك في إسماعيل - عليه السلام - في الأصحاح السابع عشر من سفر التكوين. وقد شكك اليهود في هذا النبي المنتظر. يقول السامريون منهم: إنه سيكون من سبط يوسف - عليه السلام - ويقول العبرانيون منهم: إنه سيكون من سبط يهوذا. وفي حكمة الله: أنه سيرسل نبيه عيسى - عليه السلام - لبيين لبني إسرائيل: أن النبي الآتي سيكون من بني إسماعيل، وأن اسمه سيكون «محمداً» و«أحمد» ولأن الله يعلم: أن اليهود منافقون وكاذبون، وسيصرفون النبوة عن «محمد» بـ «عيسى» بقولهم: إن النبي المنتظر هو عيسى نفسه، وما كنا له بعارفين. **وبذلك يختمون النبوة فيهم، لا في بني إسماعيل**؛ أراد الله تعالى أن يخلق عيسى بدون أب - لأن النبي المنتظر معلوم النسب - حتى لا يقول السامريون: إن النبي المنتظر الآتي منّا، وحتى لا يقول العبرانيون: إن النبي المنتظر الآتي منا. ولكن النصارى قالوا: إنه هو النبي المنتظر، الذي خُتمت به النبوة. وهم يعلمون أنه بلا أب. ونسبوه إلى داود - عليه السلام - وهو من سبط يهوذا. وكيف ينتسب إليه وهو من غير أب؟ لا يصح أن ينتسب إليه. فإذا لا يكون هو النبي المنتظر.

ومريم أُمُّه كانت من نسل هارون - عليه السلام - من سبط لاوي. وكان يجب عليهم أن ينسبوه إلى هارون تبعاً لأمه. فماذا فعلوا؟ أتى العبرانيون الذين ولد عيسى فيهم باسم رجل وهمي، وهو يوسف النجار، من سبط يهوذا، وادعوا: أنه خطيب مريم. ونسبوا عيسى إلى

يوسف خطيب مريم، لا زوج مريم. وصار بالنسب هو النبي الآتي من سبط يهوذا. وأي عقل يصدق هذا؟ هل يصدق عاقل أن عيسى صار من داود من نسبته فقط إلى خطيب لأمه؟ وكل النصارى يعتقدون: أن عيسى - عليه السلام - وُلد بلا رجل. وإذا نسبوه إلى سبط أمه، لا يلامون. وإنما يُلامون إذا نسبوه إلى سبط ليس أبوه منه. ولم يكن له أب، حتى يكون منتسباً إلى سبط أبيه. وقد أشار الله - تعالى - بقوله: ﴿يَا أُخْتَ هَارُونَ﴾ [مريم:٢٨] إلى هذا الأمر. وهو قول يهدُّ النصرانية من الأساس» أ هـ.

ما المراد بالنبي الخاتم ؟

ولا يعني موسى - عليه السلام - بالنبي الذي سيخلفه. أي نبي. وإنما يعني نبياً صاحب شريعة من السماء. فختم الرؤيا والنبوة هو بشريعة غير شريعة موسى، لا بأي نبي من الأنبياء، فداود - عليه السلام - نبي، وعيسى - عليه السلام - نبي، وقد كان إلياس نبياً، واليسع، ويونس - عليهم السلام - وكلهم كانوا في الزمان من بعد موسىٰ. وهو لا يعنيهم بختم الرؤيا والنبوة. وإنما يعني نبياً صاحب شريعة، نبياً يُقيم الدين بشريعته، كما أقامته شريعته حقبة من الزمان. وهذا النبي الآتي يختلف عن داود، وعن عيسى، مع أنه سيكون صاحب كتاب مثلهما. ووجه الاختلاف هو: أن كتاب داود، ليس فيه شريعة تحل وتحرم وتثبت من التوراة وتنسخ، وكتاب عيسى، ليس فيه شريعة تحل وتحرم وتثبت من التوراة وتنسخ. أما النبي الآتي فإنه نبي يقيم الدين بشريعة تحل وتحرم كشريعة موسى، سواء بسواء.

وفي إنجيل يوحنا: أن النبي الآتي مثل موسى [تث ١٨: ١٥ - ٢٢] قد اعترف يوحنا المعمدان - وهو النبي يحيى - بأنه ليس هو النبي الآتي مثل موسى. والمعمدان معاصر لعيسى - عليه السلام -. وفي إنجيل بَرْنابا: اعترف عيسى بأنه ليس هو النبي الآتي مثل موسى. ومعنى اعترافَيْهما: هو أن النبي الآتي إلى زمانيهما لم يظهر. فمن هو الذي قد أتى من بعدهما؟ ومن أي نسل هو؟ إنه هو محمد - عليه السلام - وهو من نسل إسماعيل - عليه السلام - فلماذا لا يكون هو النبي الخاتم؟ وفي هذا المعنى يقول الله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ﴾ [البقرة:١٣] أي اعترفوا بنبوة محمد، ﴿قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾ أي لا نعترف إلا بنبوة موسى ﴿وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ﴾ [البقرة:٩١] أي يكفرون بنبوة النبي

محمد ﷺ ﴿وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ﴾ [البقرة:٩١] أي مقراً بما في التوراة عن الله والنبوات. وقد ردَّ الله نفسه عليهم فقال: ﴿قُلْ﴾ يا محمد أنت وأتباعك لهم على طول الزمان: ﴿فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِن قَبْلُ؟﴾ [البقرة:٩١] أي من بعد موسى. ومن قبل محمد. كنتم تقتلون أنبياء الله، مع أنهم لم يأتوا بأدنى مخالفة للتوراة. والذي يقتل غير المخالف، لا يُستبعد منه قتل المخالف وإهمال دعوته. فأنتم معاندون.

النبي الخاتم لن يظهر
من بني إسرائيل

والنبي الذي به ختم الرؤيا والنبوة لن يظهر من بني إسرائيل. والدليل على ذلك من كتاب موسى نفسه:

إن موسى قال:

١ - إن النبي الآتي مثلي.

٢ - وقال موسى: والآتي مثلي لن يكون من بني إسرائيل.

٣ - وحدد موسى المثلية بثلاثة أوصاف:

أ - المعجزات.

ب - الانتصار على الأعداء في الحروب.

جـ - الرئاسة والملك.

١ - والدليل على أن النبي الآتي مثل موسى: قول موسى نفسه: «يُقيم لك الرب إلهك نبياً من وسطك. من إخوتك مثلي. له تسمعون» [تث١٨:١٥] فقوله «مثلي» لا يريد به أي نبي. بل نبي مماثل له. وقد كان صاحب معجزات، وصاحب شريعة، وكان ملكاً ورئيساً ومطاعاً في بني إسرائيل. ولم يظهر من بعده مثله في الأمور الثلاثة من بني إسرائيل.

٢ - والدليل على أن النبي الآتي مثل موسى، لن يكون من بني إسرائيل: قول موسى نفسه: «ولم يقم بعد نبي في إسرائيل مثل موسى» [تث ٣٤:١٠].

ومن الفروق بين السامريين والعبرانيين: ذلك النص. فالسامريون يقولون: لن يقوم بعد موسى نبي. أي لا ينسخ شريعته واحد من اليهود. والعبرانيون يقولون: عَزْرا كاتب التوراة

زمن سبي بابل. عَزْرا. في زمانه وهو زمان سبى «بابل» يقول: لم يكن قد جاء النبي المنتظر. ويرد عليهم السامريون وغيرهم بأن هذا معناه أن التوراة ليست من عهد موسى ولا من كتابته وهذا يدل على أنها محرفة، وبأن اللغة العبرانية لم يكن لها حروف مد، ولا كانت صيغ الأفعال فيها منضبطة. ولذلك استعمل اليهود الفعل الماضي للدلالة على المضارع والمستقبل وبالعكس. وهذا مذكور في كتب اللغة العبرانية إلى هذا اليوم.

٣ - والدليل على أن المثلية محددة بثلاثة أوصاف: قول موسى نفسه: «ولم يقم بعدُ نبي في إسرائيل مثل موسى، الذي عرفه الرب وجهاً لوجه في جميع الآيات والعجائب التي أرسلها الرب، ليعملها في أرض مصر، بفرعون وبجميع عبيده وكل أرضه، وفي كل اليد الشديدة، وكل المخاوف العظيمة التي صنعها موسى أمام أعين جميع بني إسرائيل» [تث ٣٤: ١٠-١٢].

أ - في جميع الآيات. في مصر.

ب - وفي كل اليد الشديدة.

جـ - وكل المخاوف. في اليهود.

وعيسى - عليه السلام - وهو آخر نبي ظهر في بني إسرائيل، قد اعترف بأنه ليس صاحب شريعة يُقيم الدين بها، وبأنه ليس ملكاً، وبأنه لن يحارب أعداءه. ذلك لقوله: «لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس» ولقوله: «أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله» ورفض الملك على شعب ناين. وصرح بأنه لا يطلب مجداً في قوله: «أنا لست أطلب مجدي، يُوجد من طلب ويدين» أي سيأتي من بعدي من يطلب المجد ويدين العالم، ويحيى - عليه السلام - الذي قد ولد قبل عيسى بنصف عام ودعا بمثل دعوة عيسى - عليه السلام - اعترف بأن النبي الذي سيقيم الدين كموسى، سيأتي من بعده. ومعنى اعترافه المدون في أول الأصحاح الأول من إنجيل يوحنا: هو أن النبي الآتي لينسخ شريعة موسى، والمكتوب عنه في الأصحاح الثامن عشر من سفر التثنية، لم يكن قد ظهر من قبل زمانه.

يقول يوحنا الكاتب عن يوحنا المعمدان: «كان إنسان مرسل من الله، اسمه يوحنا. هذا جاء للشهادة. ليشهد للنور، لكي يؤمن الكل بواسطته. لم يكن هو النور، بل ليشهد للنور. **كان النور الحقيقي الذي ينير كل إنسان آتياً إلى العالَم**» [يو١: ٦-٩].

لاحظ:

«كان النور الحقيقي الذي ينير كل إنسان آتياً إلى العالَم»

والمعنى: أن النبي الأمي الآتي إلى العالم ليقيم الدين كما أقامه موسى من قبل، لم يكن قد أتى قبل المَعْمَدَان ويسوع - عليهما السلام - واليهود يقولون: إن هذا النبي لم يظهر إلى زماننا هذا. والنصارى يقولون: إنه هو المسيح عيسى بن مريم - عليه السلام -

ونحن نقول بأنه ليس هو المسيح عيسى لأسباب:

أولاً: أن عيسى من بني إسرائيل. ونص التوراة يبين أن الآتي لن يكون من بني إسرائيل.

ثانياً: أن عيسى لم يأت بشريعة ليقيم بها الدين. فقد كان مصدقاً للتوراة.

ثالثاً: أن التوراة محرفة في زمان سبي بابل. والكتاب المحرف لا يكون نوراً وهدى للناس من بعد التحريف.

رابعاً: أن عيسى لم يحارب ولم ينتصر ولم يملك على قومه.

خامساً: أن عيسى نفسه دعا كما دعا يوحنا إلى اقتراب زمان هذا «النبي الأمي» فقد دعوا إلى اقتراب ملكوت السموات معاً.

يقول متى: «وفي تلك الأيام جاء يوحنا المعمدان، يكْرِز في برية اليهودية قائلاً: توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات» [مت ٣: ١-٢].

ويقول متى: «من ذلك الزمان ابتدأ يسوع يكرز ويقول: توبوا؛ لأنه قد اقترب ملكوت السموات» [مت ٤: ١٧].

ولقب عيسى - عليه السلام - محمداً رسول الله ﷺ بلقب «الروح القدس» أي الآتي من قِبَل الله الطاهر، لا من قبل الشيطان النجس. وسماه «بِيَراكْليت» أي «أحمد» وقال لتلاميذه: إنني لن أعلمكم كثيراً. وإذا جاء النبي الأمي. فإنه سيعلمكم كل شئ.

وفي هذا المعنى جاء في القرآن الكريم: ﴿**وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً**﴾ [الإسراء: ٨٥].

أي يسألونك عن «بيركليت» الموصوف بالروح، الذي إتيانه من أمر الله، أي أن الله هو الذي يريد إرساله رحمة للعالمين. وأنتم يا أهل الكتاب: ما أوتيتم من عيسى بن مريم من العلم إلا قليلاً.

ففي إنجيل يوحنا يقول عيسى ـ عليه السلام ـ : «والكلام الذي تسمعونه ليس لي، بل للآب الذي أرسلني. بهذا كلمتكم وأنا عندكم. وأما المُعزِّى الروح القدس، الذي سيرسله الآب باسمي ؛فهو يعلمكم كل شئ ويذكركم بكل ما قلته لكم» [يو١٤: ٢٤ ـ ٢٦].

انظر إلى قوله «المُعزِّى» وقد وضعها النصارى في التراجم الحديثة بدل «باركليت» و«بيركليت» اسم أحمد. ووصفه بـ «الروح» وقال: إنه سيعلمكم كثيراً، وأنا لم أعلمكم إلا قليلاً [1].

النبي الخاتم يظهر من بني إسماعيل

والنبي الذي به ختم الرؤيا والنبوة يظهر من بني إسماعيل ـ عليه السلام ـ والدليل على ذلك من كتاب موسى نفسه:

١ – أن موسى صرح بأن الله قد استجاب دعاء إبراهيم في إسماعيل بأن يكون منه دعاة إلى الله، ووعده ببركة في نسله. مساوية لبركة إسحق ـ عليه السلام ـ.

٢ – أن موسى فسر البركة بالملك والنبوة.

ففي الأصحاح السابع عشر من سفر التكوين:

أ – «ولما كان أبرام ابن تسع وتسعين سنة، ظهر الرب لأبرام، وقال له: أنا الله القدير. سِرْ أمامي، وكن كاملاً؛ فأجعل عهدي بيني وبينك وأكثرك كثيراً جداً».

والمعنى:

١ – سر أمامي. أي ادع الأمم إلى معرفتي وعبادتي، وانههم عن معرفة الأصنام والأوثان وعبادتها.

٢ – وكن كاملاً. أي قدوة صالحة في فعل الخيرات.

ب – «وقال الله لإبراهيم: سارای امرأتك لا تدعو اسمها سارای. بل اسمها سارة. وأباركها وأعطيك أيضاً منها ابناً. فتكون أمماً. وملوك شعوب منها يكونون».

(١) راجع كتاب البشارة بنبي الإسلام في التوراة والإنجيل – نشر دار البيان العربي بمصر.

جـ – «وقال إبراهيم لله: ليت إسماعيل يعيش أمامك. فقال الله: وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه. ها أنا أباركه. وأثمره وأكثره كثيراً جداً. اثنى عشر رئيساً يلد، وأجعله أمة كبيرة».

والمعنى:

أولاً: من بعد موت إبراهيم، يقوم نسل إسحق بالسير أمام الله. فيدعون الأمم والشعوب بالحكمة والموعظة الحسنة، ويحاربون من يفتن المسلمين عن دينهم، ومن يصد عن سبيل الله. ويترأسون على الأمم والشعوب، للتمكين لشريعة الله التي سينزلها على نبي منهم.

ثانياً: في نهاية زمان بركة إسحق. يظهر نبي من بني إسماعيل. ليسير معه بنو إسماعيل أمام الله. فيدعون الأمم والشعوب بالحكمة والموعظة الحسنة، ويحاربون من يفتن المسلمين عن دينهم، ومن يصد عن سبيل الله، ويترأسون على الأمم والشعوب، للتمكين لشريعة الله، التي سينزلها على نبي منهم.

فالبركة معناها: أ – نبوة. ب – ومُلك.

وذلك بأن يظهر من نسل إسحق نبي بشريعة إلهية، ويلتف حوله بنو إسحق، ليمكنوا لها في الأرض. ويظهر من نسل إسماعيل نبي بشريعة إلهية، ويلتف حوله بنو إسماعيل، ليمكنوا لها في الأرض.

ويشهد التاريخ بذلك. فقد كان موسى بن عمران من بني إسحق، وكان محمد بن عبد الله من بني إسماعيل.

السَّيْرُ أمَامَ اللَّه

وقد وضح عيسى ـ عليه السلام ـ معنى السير أمام الله في هذا النص[1]:

«ثم قال يسوع: كان رجل على سفر، وبينما كان سائراً، وجد كنزاً في حقل[2] معروض للمبيع بخمس قطع من النقود، فلما علم الرجل ذلك، ذهب تواً وباع رداءه.

(١) برنابا ٢٦ وما بعده.

(٢) متى ١٣: ٤٤ .

ليشتري ذلك الحقل. فهل يصدق ذلك؟

أجاب التلاميذ: إن من لا يصدق هذا فهو مجنون. فقال عندئذ يسوع: إنكم تكونون مجانين إذا كنتم لا تعطون حواسكم لله، لتشتروا أنفسكم، حيث يستقر كنز المحبة؛ لأن المحبة كنز لا نظير له؛ لأن من يحب الله، كان الله له، ومن كان الله له، كان له كل شيء.

أجاب بطرس: قل يا مُعلِّم كيف يجب على الإنسان أن يحب الله محبة خالصة؟ فأجاب يسوع: الحق أقول لكم: إن من لا يبغض أباه وأمه وحياته وأولاده وامرأته، لأجل محبة الله [1] فمثل هذا ليس أهلاً أن يحبه الله. أجاب بطرس: يا معلم لقد كُتب في ناموس الله، في كتاب موسى: «أكرم أباك لتعيش طويلاً على الأرض» [2] ثم يقول أيضاً: «ليكن ملعوناً الابن الذي لا يطيع أباه أو أمه» [3] ولذلك أمر الله بأن يرجم مثل هذا الابن العقوق أمام باب المدينة [4] وجوباً بغضب الشعب، فكيف تأمرنا أن نبغض أبانا وأمنا؟

أجاب يسوع: كل كلمة من كلماتي صادقة؛ لأنها ليست مني، بل من الله الذي أرسلني [5] إلى بيت إسرائيل. لذلك أقول لكم: إن كل ما عندكم قد أنعم الله به عليكم. فأي الأمرين أعظم قيمة؟ العطية أم المعطي؟ فمتى كان أبوك أو أمك أو غيرهما عثرة لك في خدمة الله، فانبذهم كأنهم أعداء. ألم يقل الله لإبراهيم: «اخرج من بيت أبيك وأهلك [6] وتعال اسكن في الأرض التي أعطيها لك ولنسلك»؟ ولماذا قال الله ذلك؟ أليس لأن أبا إبراهيم كان صانع تماثيل يصنع ويعبد آلهة كاذبة؟ لذلك بلغ العداء بينهما حداً، أراد معه الأب أن يحرق ابنه.

أجاب بطرس: إن كلماتك صادقة، وإني أضرع إليك أن تقص علينا:

(١) لوقا ١٤:٢٦ .
(٢) خروج ٢٠:١٢ .
(٣) تثنية ٢٧:١٦ .
(٤) تثنية ٢١:١٨ ـ ٢١ .
(٥) يوحنا ١٤:٢٤ .
(٦) تكوين ١٢:١ .

كيف سخر إبراهيم من أبيه؟

أجاب يسوع: كان إبراهيم ابن سبع سنين، لما ابتدأ أن يطلب الله. فقال يوماً لأبيه: يا أبتاه من صنع الإنسان؟ أجاب الوالد الغبي: الإنسان. لأني أنا صنعتك، وأبي صنعني. فأجاب إبراهيم: يا أبي ليس الأمر كذلك؟ لأني سمعت شيخاً ينتحب ويقول: يا إلهي لماذا لم تعطني أولاداً؟ أجاب أبوه: حقاً يا بني. الله يساعد الإنسان ليصنع إنساناً، ولكنه لم يضع يده فيه. فلا يلزم الإنسان إلا أن يتقدم ويضرع إلى إلهه، ويقدم له حملاناً وغنماً، ليساعده إلهه.

أجاب إبراهيم: كم إلهاً هنالك يا أبي؟ أجاب الشيخ: لا عدد لهم يا بني. فحينئذ أجاب إبراهيم: ماذا أفعل يا أبي إذا خدمت إلهاً، وأراد بي الآخر شراً؛ لأني لا أخدمه؟ ومهما يكن من الأمر فإنه يحصل بينهما شقاق، ويقع الخصام بين الآلهة. ولكن إذا قتل الإله الذي يريد بي الشر إلهي، فماذا أفعل؟ من المؤكد أنه يقتلني أنا أيضاً. فأجاب الشيخ ضاحكاً: لا تخف يا بني؛ لأنه لا يخاصم إله إلهاً. فإن في الهيكل الكبير ألوفاً من الآلهة مع الإله الكبير بعْل. وقد بلغتُ الآن سبعين سنة من العمر، ومع ذلك فإني لم أر قط إلهاً ضرب إلهاً آخر. ومن المؤكد أن الناس كلهم لا يعبدون إلهاً واحداً، بل يعبد واحد إلهاً. وآخر آخر.

أجاب إبراهيم: فإذاً يوجد وفاق بينهم. أجاب أبوه: نعم يوجد. فقال حينئذ إبراهيم: يا أبي أي شيء تشبه الآلهة؟ أجاب الشيخ: يا غبي إني كل يوم أصنع إلهاً أبيعه لآخرين لأشتري خبزاً، وأنت لا تعلم كيف تكون الآلهة؟ وكان في تلك الدقيقة يصنع تمثالاً. فقال: هذا من خشب النخل، وذاك من الزيتون، وذلك التمثال الصغير من العاج. انظر ما أجمله. ألا يظهر كأنه حيّ. حقاً. لا يعوزه إلا النفس.

أجاب إبراهيم: إذاً يا أبي ليس للآلهة نفس، فكيف يهبون الأنفاس؟ ولما لم تكن لهم حياة؛ فكيف يعطون إذاً الحياة؟ فمن المؤكد يا أبي إن هؤلاء ليسوا هم الله. فحنق الشيخ لهذا الكلام قائلاً: لو كنت بالغاً من العمر ما تتمكن معه من الإدراك لشججتُ رأسك بهذه الفأس، ولكن اصمت إذ ليس لك إدراك. أجاب إبراهيم: يا أبي إن كانت الآلهة تساعد

على صنع الإنسان، فكيف يتأتّى للإنسان أن يصنع آلهة؟ وإذا كانت الآلهة مصنوعة من خشب؛ فإن إحراق الخشب خطيئة كبرى. ولكن قل لي يا أبت: كيف وأنت قد صنعت آلهة هذه عديدها، لم لم تساعدك الآلهة لتصنع أولاداً كثيرين، فتصير أقوى رجل في العالم؟

فحنق الأب لما سمع ابنه يتكلم هكذا. فأكمل الابن قائلاً: يا أبت هل وُجد العالم حيناً من الدهر بدون بشر؟ أجاب الشيخ: نعم. ولماذا؟ قال إبراهيم: لأني أحب أن أعرف من صنع الإله الأول؟ فقال الشيخ: انصرف الآن من بيتي، ودعني أصنع هذا الإله سريعا، ولا تكلمني كلاماً، فمتى كنت جائعاً فإنك تشتهي خبزاً لا كلاماً. فقال إبراهيم: إنه لإله عظيم فإنك تقطعه كما تريد، وهو لا يدافع عن نفسه. فغضب الشيخ وقال: إن العالم بأسره يقول: إنه إله، وأنت أيها الغلام الغبي تقول: كلا. فوآلهتي لو كنت رجلاً لقتلتك. ولما قال هذا، ضرب إبراهيم ورفسه، وطرده من البيت.

فضحك التلاميذ من حمق الشيخ، ووقفوا منذهلين من فطنة إبراهيم. ولكن يسوع وبخهم قائلاً: لقد نسيتم كلام النبي القائل [1]: «الضحك العاجل نذير البكاء الآجل» وأيضاً: «لا تذهب إلى حيث الضحك، بل اجلس حيث ينوحون؛ لأن هذه الحياة تنقضي في الشقاء» ثم قال يسوع: ألا تعلمون أن الله في زمن موسى مسخ ناساً كثيرين في مصر، حيوانات مخوفة؛ لأنهم ضحكوا واستهزءوا بالآخرين. احذروا من أن تضحكوا من أحد مّا، لأنكم بكاء تبكون بسببه. أجاب التلاميذ: إننا ضحكنا من حماقة الشيخ. فأجاب حينئذ يسوع: الحق أقول لكم: كل نظير يحب نظيره. فيجد في ذلك مسرة. ولذلك لو لم تكونوا أغبياء، لما ضحكتم من الغباوة. أجابوا: ليرحمنا الله. قال يسوع: ليكن كذلك.

حينئذ قال فيلبُّس: يا معلم كيف حدث أن أبا إبراهيم أحب أن يحرق ابنه؟ أجاب يسوع: لما بلغ إبراهيم اثنتي عشرة سنة من العمر، قال له أبوه يوماً: غداً عيد كل الآلهة؛ فلذلك تذهب إلى الهيكل الكبير، وتحمل هدية لإلهي بَعْل العظيم، وأنت تنتخب لنفسك إلها؛ لأنك بلغت سناً يحق لك معه اتخاذ إله، فأجاب إبراهيم بمكر: سمعا وطاعة يا أبي. فبكر في الصباح إلى الهيكل قبل كل أحد. ولكن إبراهيم كان يحمل تحت صورته فأساً مستورة. فلما دخل الهيكل، وازداد الجمع خبأ إبراهيم نفسه وراء صنم في ناحية مظلمة في

(١) جامعة ٧: ٢ ـ ٣ .

الهيكل، فلما انصرف أبوه، ظن أن إبراهيم سبقه إلى البيت. ولذلك لم يمكث ليفتش عليه.

ولما انصرف كل أحد من الهيكل، أقفل الكهنة الهيكل، وانصرفوا. فأخذ إبراهيم إذا ذاك الفأس، وقطع قوائم جميع الأصنام، إلا الإله الكبير بعلاً. فوضع الفأس عند قوائمه بين جُذاذ التماثيل، التي تساقطت قطعاً؛ لأنها كانت قديمة العهد ومؤلفة من أجزاء.

ولما كان إبراهيم خارجاً من الهيكل، رآه جماعة من الناس، فظنوا أنه دخل ليسرق شيئاً من الهيكل، فأمسكوه. ولما بلغوا به الهيكل، ورأوا آلهتهم محطمة قطعاً، صرخوا منتحبين: أسرعوا يا قوم. ولنقتل الذي قتل آلهتنا. فهرع إلى هناك نحو عشرة آلاف رجل مع الكهنة، وسألوا إبراهيم عن السبب الذي لأجله حطَّم آلهتهم. أجاب إبراهيم: إنكم لأغبياء أيقتل الإنسان الله؟ إن الذي قتل إنما هو الإله الكبير. ألا ترون الفأس التي له عند قدميه؟ إنه لا يبتغي أنداداً.

فوصل حينئذ أبو إبراهيم، الذي ذكر أحاديث إبراهيم في آلهتهم، وعرف الفأس التي حطم بها إبراهيم الأصنام. فصرخ: إنما قتل آلهتنا ابني الخائن هذا؛ لأن هذه الفأس فأسي. وقص عليهم ما جرى بينه وبين ابنه.

فجمع القوم مقداراً كبيراً من الحطب، وربطوا يدي إبراهيم ورجليه، ووضعوه على الحطب، ووضعوا ناراً تحته. فإذا الله قد أمر النار بواسطة ملاكه جبريل، أن لا تحرق عبده إبراهيم. فاضطرمت النار باحتدام، وحرقت نحو ألفي رجل من الذين حكموا على إبراهيم بالموت. أما إبراهيم فقد وجد نفسه مطلق السراح. إذ حمله ملاك الله إلى مقربة من بيت أبيه، دون أن يرى من حمله. وهكذا نجا إبراهيم من الموت.

حينئذ قال فيلبّس: ما أعظم هي رحمة الله للذين يحبونه. قل لنا يا معلم: كيف وصل إلى معرفة الله؟ أجاب يسوع: لما بلغ إبراهيم جوار بيت أبيه، خاف أن يدخل البيت، فانتقل إلى بعد عن البيت، وجلس تحت شجرة نخل. حيث لبث منفرداً. وقال: لابد من وجود إله ذي حياة وقوة أكثر من الإنسان. والإنسان بدون الله لا يقدر أن يصنع الإنسان. حينئذ التفت حوله، وأجال نظره في النجوم والقمر والشمس، فظن أنها هي الله. ولكن بعد التبصر في تغيراتها وحركاتها قال: يجب أن لا تطرأ على الله الحركة، ولا تحجبه الغيوم، وإلاَّ فني الناس.

وبينما هو متحير، سمع اسمه يُنادي: يا إبراهيم. فلما التفت ولم ير أحداً في جهة، قال: إني قد سمعت يا إبراهيم. ثم سمع كذلك اسمه ينادي مرتين أخريين: يا إبراهيم. فأجاب: من يناديني؟ حينئذ سمع قائلاً: إنه أنا ملاك الله جبريل. فارتاع إبراهيم. ولكن الملاك سكّن روعه قائلاً: لا تخف يا إبراهيم؛ لأنك خليل الله. فإنك لما حطمت آلهة الناس تحطيماً، اصطفاك إله الملائكة والأنبياء، حتى أنك كتبت في سفر الحياة [1].

حينئذ قال إبراهيم: ماذا يجب عليَّ أن أفعل لأعبد إله الملائكة والأنبياء الاطهار؟ فأجاب الملاك: اذهب إلى ذلك الينبوع واغتسل؛ لأن الله يريد أن يكلمك أجاب إبراهيم: وكيف ينبغي أن اغتسل؟ فتبدى له حينئذ الملاك يافعاً جميلاً، واغتسل من الينبوع قائلاً: افعل كذلك بنفسك يا إبراهيم. فلما اغتسل إبراهيم قال الملاك: ارتق ذلك الجبل؛ لأن الله يريد أن يكلمك هناك. فارتقى إبراهيم الجبل، كما قال له الملاك. ولما جثا على ركبتيه، قال لنفسه: متى يا ترى يكلمني إله الملائكة؟ فسمع صوتاً لطيفاً يناديه: يا إبراهيم. فأجابه إبراهيم: من يناديني؟

فأجاب الصوت: أنا إلهك يا إبراهيم. أما إبراهيم فارتاع وعفر بوجهه الأرض قائلاً: كيف يصغى عبدك إليك، وهو تراب ورماد [2]؟ حينئذ قال الله: «لا تخف، بل انهض؛ لأني قد اصطفيتك عبداً لي، وإني أريد أن أباركك وأجعلك شعباً عظيماً. فاخرج إذاً من بيت أبيك وأهلك وتعال اسكن في الأرض، التي أعطيكها أنت ونسلك» [3] أ.هـ

التعليق:

لاحظ في نهاية النص: «**لا تخف، بل انهض؛ لأني قد اصطفيتك عبداً لي، وإني أريد أن أباركك وأجعلك شعباً عظيماً. فاخرج إذاً من بيت أبيك وأهلك وتعال اسكن في الأرض، التي أعطيكها أنت ونسلك**».

هذا هو السير أمام الله. يخرج من أرض آبائه وأجداده إلى الأرض التي بارك الله فيها للعالمين، وهي أرض «مكة» لقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران:٩٦] ليدعو الناس إلى معرفة الله وعبادته.

(١) فيلبّى ٤: ٣ .
(٢) تكوين ١٨: ٢٧ .
(٣) تكوين ١٢: ١ ـ ٢ .

ولاحظ:

١ - «أباركك» ٢ - «وأجعلك شعباً عظيماً»

وتذكّر قوله عن سارة:

١ - «أباركها»

٢ - «فتكون أمماً وملوك شعوب منها يكونون»

وتذكر قوله عن إسماعيل:

١ - «ها أنا أباركه» ٢ - «وأجعله أمة كبيرة»

ثم اعلم: أن ملاك الله قال لهاجر - رضي الله عنها -: «ها أنت حبلى، فتلدين ابناً. وتدعين اسمه إسماعيل؛ لأن الرب قد سمع لمذلتك، وإنه يكون إنساناً وحشياً. يده على كل واحد، ويد كل واحد عليه» [تك ١٦: ١١-١٢] .

واعلم: أن ملاك الله نادى هاجر من السماء «وقال لها: مالك يا هاجر. لا تخافي؛ لأن الله قد سمع لصوت الغلام حيث هو. قومي احملي الغلام وشُدّي يديك به؛ **لأني سأجعله أُمَّة عظيمة**» [تك٢١: ١٧-١٨] .

ومعنى هذا: أن إبراهيم ـ عليه السلام ـ خرج من أرض آبائه للدعوة إلى الله. وأن إسحق وإسماعيل، سيدعوان نسليهما إلى الله. إلى يوم القيامة. نسل إسحق إلى مدة، يكون لهم فيها ملك على الأمم والشعوب. ونسل إسماعيل إلى يوم القيامة، ويكون لهم ملك على الأمم والشعوب. وحامل لواء البركة في إسحق هو موسى ـ عليه السلام ـ.

وبعد هذا نبين عن محمد ﷺ في التوراة وأسفار الأنبياء والأناجيل الأربعة ما يلي:

الفصل الثالث

النبي الأمي

في

التوراة والإنجيل

بيَّن الله تعالى في التوراة والإنجيل لعلماء بني إسرائيل ولسائر الأمم أن سيظهر محمد من آل إسماعيل بن إبراهيم ليكون للعالمين نذيراً، وأنه سينسخ شريعة موسى وسيغير عوائده وشعائره. ووصف صحابته بالطهر والعفاف، وأنهم أشداء على الكفار، رحماء بينهم، وأنهم في بدء الإسلام سيكونون جماعة صغيرة، ثم تنمو رويداً رويداً، حتى يكونوا كباراً، يعمل الناس لهم ألف حساب وحساب.

ففي الأصحاح السابع عشر من سفر التكوين: أن الله تعالى قال لإبراهيم: «سر أمامي. وكن كاملاً. فأجعل عهدي بيني وبينك وأكثرك كثيراً جداً» والمعنى: امش في الناس بالدعوة إلى ديني وعرفهم بي لينبذوا عبادة الأوثان. وكن كاملاً أي أمة وقدوة في عمل الخير. ولئن التزمت بالدعوة والقدوة، أجعل عهدي معك بالنبوة والرسالة والملك على الأمم، وقد التزم إبراهيم ـ عليه السلام ـ ومن أجل ذلك قال له: سأجعل عهدي بالنبوة والرسالة والملك على الأمم في نسل إسحق ـ عليه السلام ـ إذا مشوا بالدعوة إلى وكانوا قدوة في عمل الخير. فقال إبراهيم لله وإسماعيل ولدي البكر. أتمنى أن تجعل العهد في نسله أيضاً. فيكون العهد بالنبوة والرسالة والملك مشتركاً بين إسماعيل وإسحق. ويكون لهذا مدة، ولهذا مدة.

هذا ما قاله ـ عليه السلام ـ لله تعالى حسبما تنص التوراة. فإن فيها: «وقال إبراهيم لله: ليت إسماعيل يعيش أمامك. فقال الله: وأما إسماعيل. فقد سمعت لك فيه. ها أنا أباركه وأثمره. وأكثره كثيراً جداً. اثني عشر رئيساً يلد وأجعله أمة كبيرة».

وقد حمل بركة إسحق بالتوراة موسى ـ عليه السلام ـ وحمل بركة إسماعيل بالقرآن ـ محمد عليه السلام ـ وبيان ذلك:

١ ـ أن إسماعيل ـ عليه السلام ـ سكن مع أمه في برية فاران. وهي أرض مكة المكرمة ففي الأصحاح الحادي والعشرين من سفر التكوين: «ونادى ملاك الله هاجر من السماء

وقال لها: مالك يا هاجر. لا تخافي لأن الله قد سمع لصوت الغلام حيث هو. قومي احملي الغلام وشدي يدك به. لأني سأجعله أمة عظيمة. وفتح الله عينيها فأبصرت بئر ماء. فذهبت وملأت القربة ماء وسقت الغلام. وكان الله مع الغلام فكبر وسكن في البرية. وكان ينمو رامي قوس. وسكن في برية فاران. وأخذت له أمه امرأة من أرض مصر».

هذا هو مكان سكنى إسماعيل المبارك بالملك والنبوة.

٢ ـ وقد قسم موسى ـ عليه السلام ـ بركة الله بالملك والنبوة على ثلاثة أماكن:

(أ) سيناء: مكان نزول التوراة. (ب) وساعير: مكان تفسير التوراة من علماء وأنبياء بني إسرائيل. (جـ) وفاران: مكان نزول القرآن. فقال في الأصحاح الثالث والثلاثين من سفر التثنية: «وهذه هي البركة التي بارك بها موسى رجل الله بني إسرائيل قبل موته. فقال: جاء الرب من سيناء، وأشرق لهم من سعير، وتلألأ من جبل فاران. وأتي من ربوات القدس. وعن يمينه نار شريعة لهم. فأحب الشعب. جميع قديسيه في يدك وهم جالسون عند قدمك، يتقبلون من أقوالك».

وفي هذا النص بيان كثرة أصحاب محمد ﷺ فقد قال: «وأتى من ربوات القدس» وفي بعض التراجم: وأتي مع آلاف من جيش المقدسين الطاهرين الذين اختارتهم العناية الإلهية لهذا الغرض المقدس. وفي هذا النص مدح لأصحاب رسول الله ﷺ فقد قال: «جميع قديسيه في يدك. وهم جالسون عند قدمك. يتقبلون من أقوالك» أي أن الصحابة الأجلاء في يد رسول الله ﷺ لا يخرجون عن طاعته، وهم جالسون عند قدميه: كناية عن التواضع بين يديه، ويتقبلون من أقواله: أي لا يشرعون لهم من تلقاء أنفسهم.

٣ ـ وقد نَبَّه يعقوب الذي هو إسرائيل بنيه حال موته على مجئ نبي السلام الذي متى جاء فإنه سيأخذ منهم الملك والنبوة. بقوله: «لايزول قضيب من يهوذا، ومشترع من بين رجليه، حتى يأتي شيلون، وله يكون خضوع شعوب» [تكوين ٤٩: ١٠].

والمعنى: لايزول الملك من بني إسرائيل. وعبر بيهوذا عن بني إسرائيل، حتى يأتي «شيلون» نبي السلام، فيتسلم منهم النبوة والملك وتخضع له أمم الأرض. وليس شيلون إلا محمد ﷺ لأنه من إسماعيل المبارك فيه.

٤ ـ ولما كان موسى ـ عليه السلام ـ هو والمشايخ السبعون على جبل طور سيناء لتلقي

شريعة التوراة من الله، خاف بنو إسرائيل من الدخان والنار اللذين أحاطا بهما وهما فوق الجبل، وقالوا لموسى ـ عليه السلام ـ: إذا أراد الله أن يكلمنا مرة أخرى ويسمعنا صوته. فليكن عن طريق بشر، ليكن عن طريقك يا موسى. ونحن نسمع ونطيع. فرد موسى كلامهم إلى الله. فقال الله: أحسنوا في ما قالوا. ولسوف أرسل لهم نبياً مثلك وأجعل كلامي في فمه. أي سيكون نبياً أمياً لا يقرأ ولا يكتب.

وهذا النبي الذي سيأتي مماثلاً لموسى هو محمد ـ عليه السلام ـ لأن الله قد بارك في إسماعيل ـ عليه السلام ـ وجعل له ملكاً ونبوة، كملك بني إسحق ونبوتهم فإن لإسحق بركة كبركة إسماعيل. وحملها من بني إسحق كلهم: بنو إسرائيل. وبدأت من بني إسرائيل من موسى ـ عليه السلام ـ فإنه صاحب الشريعة. وكان رئيساً مطاعاً، وجاهد في سبيل الله وأمر أتباعه بدخول الأرض المقدسة.

ففي الأصحاح الثامن عشر من سفر التثنية:

«يقيم لك الرب إلهك نبياً من وسطك من إخوتك. مثلي. له تسمعون. حسب كل ما طلبت من الرب إلهك في حوريب يوم الاجتماع قائلاً: لا أعود أسمع صوت الرب إلهي ولا أرى هذه النار العظيمة أيضاً لئلا أموت، قال لي الرب: قد أحسنوا في ما تكلموا. أقيم لهم نبياً من وسط إخوتهم مثلك، وأجعل كلامي في فمه، فيكلمهم بكل ما أوصيه به. ويكون أن الإنسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلم به باسمي، أنا أطالبه، وأما النبي الذي يُطغى فيتكلم باسمي كلاماً لم أوصه أن يتكلم به أو الذي يتكلم باسم آلهة أخرى. فيموت ذلك النبي.

وإن قلت في قلبك: كيف نعرف الكلام الذي لم يتكلم به الرب؟

فما تكلم به النبي باسم الرب ولم يحدث ولم يصر، فهو الكلام الذي لم يتكلم به الرب، بل بطغيان تكلم به النبي. فلا تخف منه» [تث١٨:١٥-٢٢].

كيفية انطباق النبوة على محمد ﷺ:

أولاً: إن من أوصاف هذا النبي المنتظر: أن يكون نبياً. لا إلهاً. وقد زعم النصارى: أن أوصاف النبي الذي تتحدث عنه هذه النبوءة: تنطبق على عيسى ـ عليه السلام ـ. وزعمهم باطل. لأن بعضهم يقول: إن عيسى إله. وبعضهم يقول: هو الإله الخالق للعالم. فالكاثوليك

والبروتستانت يقولون: إن عيسى هو الإله الثاني. والله هو الإله الأول. والروح القدس هو الإله الثالث. والأرثوذكس يقولون: إن عيسى هو الله رب العالمين وقد ظهر للناس في صورة بشر. وعن مذهب الكاثوليك والبروتستانت يقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾ [المائدة:٧٣] وعن مذهب الأرثوذكس يقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة:٧٢].

وهذا مع ما في التوراة وما في الإنجيل من أن الله تعالى هو الخالق للعالم وحده وأنه ليس كمثله شئ. ففي الأصحاح السادس من سفر التثنية: «اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد» وفي الأصحاح الثالث والثلاثين من سفر التثنية: «ليس مثل الله» وفي الأصحاح الأول من إنجيل يوحنا. فسر يوحنا أبناء الله بمعنى المؤمنين بالله في قوله: «وأما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله. أي المؤمنون باسمه» وقال: إن الله لم يره أحد. وحيث إن عيسى قد رآه الناس، فإنه بحكم الإنجيل لا يكون هو الله، لقوله: «الله لم يره أحد قط».

وفي نفس الأصحاح يورد يوحنا كاتب الإنجيل: شهادة يحيى ـ عليه السلام، الذي هو يوحنا المعمدان ـ بأنه ليس هو النبي الذي أخبر عن مجيئه موسى في سفر التثنية لينسخ شريعته. وقد كان يوحنا معاصراً لعيسى ـ عليه السلام ـ وكان وهو يدعوان اليهود لاقتراب ملكوت السموات. مما يدل على أن النبي المنتظر لم يكن قد أتى قبل يحيى وعيسى. وليس هو عيسى ولا يحيى ـ عليهما السلام ـ يقول يوحنا: «وهذه هي شهادة يوحنا حين أرسل اليهود من أورشليم كهنة ولاويين ليسألوه: من أنت؟ فاعترف ولم ينكر. وأقر: أني لست أنا المسيح. فسألوه: إذاً ماذا؟ إيليا أنت؟ فقال: لست أنا. ألنبي أنت؟ فأجاب: لا» فقد اعترف المعمدان بأنه ليس هو النبي المشار إليه في سفر التثنية. وحيث إنهما معاً دعوا إلى اقتراب ملكوت السموات - أي إن دعوتيهما واحدة - فإن النبي المنتظر يكون آتياً من بعدهما. فقد حكى متى ما نصه:

(أ) «من ذلك الزمان ابتدأ يسوع يكرز ويقول: توبوا، لأنه قد اقترب ملكوت السموات» [متى ٤:١٧].

(ب) «وفي تلك الأيام جاء يوحنا المعمدان يكرز في برية اليهودية قائلاً: توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات» [متى٣:١-٢].

ثانياً: ومن أوصاف النبي المنتظر: أن يكون من إخوة بني إسرائيل. ولو كان هذا النبي من بني إسرائيل ما كان يقول: «من إخوتهم» وكان يقول: منكم. وحيث إن: (أ) لإسماعيل بركة. (ب) وأنه أخ لإسحق الذي هو جدهم.

فإن المراد من إخوتهم: أنه سيأتي من آل إسماعيل لأن لإسماعيل بركة. ففي الأصحاح السادس عشر من سفر التكوين: «وقال لها ملاك الرب: ها أنت حبلى فتلدين ابناً وتدعين اسمه إسماعيل، لأن الرب قد سمع لمذلتك، وإنه يكون إنساناً وحشياً. يده على كل واحد ويد كل واحد عليه. وأمام جميع إخوته يسكن».

ثالثاً: ومن أوصافه المماثلة لموسى في الحروب والانتصار على الأعداء. وقد نصت التوراة على أنه لن يظهر في بني إسرائيل مثل موسى. وعليه فإن الآتي يكون من غير جنسهم. وحيث لإسماعيل بركة، فإنه يكون من جنسه. ففي الأصحاح الرابع والثلاثين من سفر التثنية: «ولم يقم بعد نبي في إسرائيل مثل موسى الذي عرفه الرب وجهاً لوجه. في جميع الآيات والعجائب التي أرسله الرب ليعملها في أرض مصر بفرعون وبجميع عبيده وكل أرضه. وفي كل اليد الشديدة وكل المخاوف العظيمة التي صنعها موسى أمام أعين جميع إسرائيل».

رابعاً: ومن أوصافه: أن يسمع له بنو إسرائيل ويطيعوا حتى ولو نسخ شريعة موسى. ولم ينسخ شريعة موسى إلا محمد ـ عليه السلام ـ أما الأنبياء من موسى إلى محمد ـ عليه السلام ـ فقد كانوا على شريعة موسى. حتى يسوع المسيح فإنهم كتبوا أنه كان على دين موسى لقوله: «لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس»[متى٥:٧].

وقد صرح القرآن بذلك في قوله تعالى: ﴿ **وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ** ﴾ [الصف:٦]. فقد بيَّن أنه موافق على التوراة التي هي أمامه في عصره. ولقد كان الربانيون والأحبار يفسرون التوراة، ويضيفون على التفسير من عندهم تشريعات لم يأذن بها الله. مثل تحريم الأكل بأيد غير مغسولة. وأما عيسى ـ عليه السلام ـ فإنه كان مفسراً لها ولم يكن محرماً ومحللاً من تلقاء نفسه كما كان يفعل الربانيون والأحبار. بل إنه ألغى تشديداتهم وأباح محرماتهم من تلقاء أنفسهم. كما قال تعالى عنه: ﴿ **وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ** ﴾ [آل عمران:٥٠] من الربانيين والأحبار.

وأما قوله تعالى: ﴿ **وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ** ﴾ [المائدة:٤٧]. فإن معناه: وليحكموا بما فيه من إيجاب العمل بأحكام التوراة، فإن في الإنجيل: «لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس» وفي الأصحاح الثالث والعشرين من إنجيل متى قول عيسى ـ عليه السلام ـ: «على كرسي موسى جلس الكتبة والفريسيون. فكل ما قالوا لكم أن تحفظوه، فاحفظوه وافعلوه ولكن حسب أعمالهم لا تعملوا، لأنهم يقولون ولا يفعلون».

خامساً: ومن أوصافه: أن يكون نبياً أمياً غير قارئ ولا كاتب. وهذا معنى قوله: «وأجعل كلامي في فمه».

سادساً: ومن أوصافه: أن يكون أميناً على الوحي الإلهي. وهذا مستفاد من قوله: «فيكلمهم بكل ما أوصيه به»

سابعاً: ومن أوصافه: أن الله ينصره على مخالفيه. وهذا مستفاد من قوله: «ويكون أن الإنسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلم به باسمي. أنا أطالبه» أي الله يقول أنا أنتقم من مخالفيه.

ثامناً: ومن أوصافه: أن لا يقتل. وأن من يكذب ويدعي النبوة ويزعم أنه هو المراد من هذه النبوءة المذكورة في سفر التثنية، أو يدعو إلى غير الله، فإنه يقتل. وهذا مستفاد من قوله: «وأما النبي الذي يطغى فيتكلم باسمي كلاماً لم أوصه أن يتكلم به، أو الذي يتكلم باسم آلهة أخرى فيموت ذلك النبي» أي فيكون جزاؤه القتل.

تاسعاً: وإن قال متبع شريعة موسى: كيف نميز الصادق من الكاذب؟ أي إذا ظهر من يقول إني أنا هو ذلك النبي. فكيف نعرف أنه صادق؟

فإنه أعطى علامة للناس، ليعرفوا الصادق من الكاذب. وهي: أنه إذا ظهر وأخبر عن غيب، ووقع الغيب كما قال. فإنه يكون صادقاً في دعوى النبوة.

وهذا مستفاد من قوله: «وإن قلت في قلبك: كيف نعرف الكلام الذي لم يتكلم به الرب؟» وهذا هو السؤال. والإجابة هي: «فما تكلم به النبي باسم الرب ولم يحدث ولم يصر، فهي الكلام الذي لم يتكلم به الرب، بل بطغيان تكلم به النبي، فلا تخف منه».

عاشراً: أن يكون ملكا على بني إسرائيل والأمم. لقوله: «له تسمعون».

وقد ظهر مما تقدم: أن محمداً ﷺ مكتوب عنه في التوراة في الأصحاح الثامن عشر من